نشوة السكران

من صهباء تذكار الغزلان

تأليف

محمد صديق حسن خان

الطبعة الاولى

عُنِي بنشره

﴿ محمد عطيه الكتبي ﴾

سنة ١٣٣٨ — ١٩٢٠

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن محمد شريف

نشوة السكران

من

صهباء تذكار الغزلان

تأليف

محمد صديق حسن خان

الطبعة الاولى

التزام

﴿ محمد عطيه الكتبي ﴾

سنة ١٣٣٨ — ١٩٢٠

المطبعة الرحمانية

بالخرنفش بمصر



نحمد من زين رياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود وأثمر أغصان القدود برمان النهود حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وسبب بذكر محبوبه ان كان تهامياً فى حجاز أو شامياً فى نوى ونصلى ونسلم على من حث على تهذيب النفس الابيه عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم ولا يتعدونه ما ذر شارق وهام عاشق ﴿وبعد﴾ فهذا بيان العشق والعشاق والمعشوقات من النسوان وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمان الذي أفصح به أصحاب ديوان الصبابة وتزيين الاسواق وسبحة المرجان لخصته منها حلية للآذان وأتيت فيه بأشياء مما يزرى بأريج الريحان وسميته نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة

مقدمة

(فى ذكر العشق واسمه وما جاء فى حده ورسمه)

اعلم ان العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى وتجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والفكر والاماني والحرص على الطلب حتي يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء أو التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء مالا يكون وتمني مالا يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غماً وربما نظر الى معشوقه فمات فرحاً وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعاً وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيدفنونه وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمعه واستحال لونه ذكره فيثاغورس الحكيم الذى أخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام على ما ذكره صاعد فى كتاب الطبقات .

وقال تلميذه أفلاطون هو قوة غريزية متولدة من وسواس الطمع

وأشباح التخيل نام بنصال الهيكل الطبيعي محدث للشجاع جبناً وللجبان شجاعة يكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه الي الداء العضال الذى لادواء له . وقال تلميذه ارسطاطاليس العشق عمي العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم حبك الشئ يعمي ويصم . والذى مشى عليه أبو علي بن سينا وغيره من الاطباء انه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الي نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد تكون معه شهوة جماع وقد لاتكون . وقال سيد الطائفة الجنيد رحمه الله العشق الفة رحمانية والهام شوقي أوجبهما كرم الاله علي كل ذى روح لتحصل به اللذة العظمى التى لايقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهى موجودة فى الانفس بقدر مراتبها عند أربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبراً لهم عنها بصورة اللفظ . وقال الاصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن أن يرى وخفى عن أبصار الورى فهو فى الصدور كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أوري وان تركته توارى . وقال أبو وائل الاوضاحي ان لم يكن طرفاً من الجنون فهو عصارة من السحر . وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك

وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر ملك مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتواري عن الابصار مدخله وعمى عن القلوب مسلكه . وقال بعضهم مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل وما أحسن قول الشاعر

يقول أناس لو نعت لنا الهوى
ووالله ماأدري لهم كيف أنعت

فليس لشئ منه حد احده
وليس لشئ منه وقت موقت

قال في تزيين الاسواق العشق يختلف باختلاف المزاج على أنحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما في الصفراويين وعكسه كما في السوداويين وسريع التعلق بطيء الزوال كما في الدمويين وعكسه كما في البلغميين . عن ابن عباس رفعه قال من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم أبدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيداً وفي أخرى وكتم والحديث بسائر ماذكر صحيحه مغلطائي واعله البيهقي والجرجاني والحاكم في التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزي مرفوعاً وأبو محمد بن الحسين موقوفاً وأخرجه الخطيب عن عائشة مرفوعاً أيضاً وضعفه

الحافظ ابن القيم فى الهدى بجميع طرقه وأظن انه الصواب وان تضمنه الاكابر فى أشعارهم . وفى أثر ابن عباس أيضاً الهوى اله معبود . وعن الغزى قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة ووردت آثار كثيرة فى العشق مع العفة . قيل لعذرى أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراء ظهوركم وبنو عذرة مختصون بمزيد الحب وايثار العشق ولا تضرب الامثال الا بهم . وقال بعض حكماء الهند ماعلق العشق بأحد عندنا الا وعزينا أهله فيه . وحكى الحافظ مغلطائى ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام أشد مايكون مع الفراغ وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم علي مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب بما فى ذلك من مزيد اللذة ودونهم أفرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به . ونقل ابن خلكان فى ترجمة العلاف ان العشق جرعة من حياض

الموت وبقعة من رياض الشكل لكنه لا يكون الا عن اريحية فى الطبع ولطافة فى الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينفع فيه عذل . ووجد على صخرة العشق ملك غشوم ومسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل أسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقر غامض ويم تياره طافح فائض وهو دقيق المسلك عسير المخرج

(مبحث فى أسباب العشق وعلاماته)

قال بعض الاطباء سببه النفسانى الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار ردي الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك اكثر مايعترى العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وعلامته نحافة البدن وخلاء الجفن للسهر وكثرة صعود الابخرة وغؤورالعين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كانه ينظر الى شيء لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم ولا سيما عند ذكر اسماء وصفات مختلفة وتغير اللون وتنفس الصعداء . قال ارسطاطاليس للعشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعاً . فزحل يهيء الفكرة والتمنى والطمع والهم والهيجان والاحزان والوساوس والجنون وعطارد يهيء قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام وتلبين المرام والتذلل والتلطف والزهرة تهيء العشق والوله والهيمان والرقة والتلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازله الباحثة على الشبق والغلمة والميل الى الطرب وسماع الاغانى وما شابهه . ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره واضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه وحب أهله وقرابته وغلمانه وجيرانه وساكني بلده وكثرة غيرته

عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاء والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ماياتي به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك والاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهدفيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى فراقه والتباطيء في المشى عند القيام عند وجوده بكل مايقدر عليه مما كان يتمتع به قبل ذلك حتى كانه هو الموهوب له وهذا كله قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبدله سؤالا وتضرعا كانه يأخذه من المحبوب حتى انه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يفدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله . ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق فى المكان الواسع والمحاربة على الشيء يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفى وكثرة التمطى والتكسل اذا نظر الى محبوبه الي غير ذلك مما لايحصى فهو الطف موجود نشأ في الوجود وأعز مقصد لذى الهجود . وقال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وله مراتب سبعة تدريجية ذكرها داود الانطاكى ولو منح الله شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستغرق الابد وفراغا يذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض ابدا وافرغ ذلك

كله فى تحرير ما أودعه عمر بن الفارض من مراتب العشق وادواره وتنقلاته واطواره لفني الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق عطن هـذا المختصر لا وضحت لك من بعض تدقيقاته في أقل كلماته مايدعك فى حـيرة الفكر وبحار العجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقعا ناطقا

(مبحث فى مراتب العشق واسمائه وصفاته)

فاول مراتبـه الهوى وهو ميـل النفس وقد يراد به نفس المحبوب . ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب . ثم الـكلف وهو شدة الحب وأصله من الـكلفة وهى المشقة وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شيء يعـلو الوجـه كالسمسم والـكلف أيضا لون بين السواد والحمرة وهي حمرة كدرة . ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب قال فى الصحاح هو فرط الحب وهو أمر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء ولا تكاد تجـده فى شعرهم القديم وانما ولع به المتأخرون ولم يقع هـذا اللفظ فى الـكتاب العزيز ولا السـنة المطهرة الا فى حديث ابن داود الظاهرى . ثم الشغف قال العزيزى في غريب القرآن شغفها حباً أصاب حبه شغاف قلبها وهو الغلاف أو حبة القلب وهى علقة سـوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع

حبه الى أعلى موضع فى قلبها مشتق من شغساف الجبال أي رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفـلانة أى ذهب به الحب أقصي المـذاهب والشغف بالمهمله احراق الحب للقلب وقد قريء بهما جميعاً ومثله في الاحراق اللوعة واللاعج فهذا هو الهوى المحرق . ثم الجوي وهو الهوي الباطن قال الجوهري الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن . ثم التتيم وهو أن يستعيده الحب منه سمي تيم الله أى عبد الله . ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى وفى الصحاح تبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم . ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوي ويقال دلهه الحب أي حيره . ثم الهيام وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوي عليه . ثم الصبابة وهي رقة الشوق وحرارته . والمقة المحبة ولوامق المحب : والوجد الحب الذى يتبعه الحزن . والدنف لاتكاد تستعمله العرب فى الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب فى المرض . والشجو حب يتبعه هم وحزن . والشـوق سفر القلب الى المحبوب قال الجوهرى الشوق والاشـتياق نزاع النفس الى الشيء وقد جاء فى السنة واسئلك النظر الى وجهك الـكريم والشوق الى لقائك واختلف فيه هل يزول بالوصال أو يزيد . والبلبال الهم ووسواس الصدور . والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل الشوق وهى وساوسه . والتباريح الشـدائد والدواهي يقال برح به الحب والشوق اذا أصابه منه البرح وهو الشدة . والغمرة مايغمر القلب من حب أو سكر أو

غفلة . والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب أشد الى محبوبه . والوصب الم الحب ومرضه فان أصل الوصب المرض . والكمد الحزن المكتوم وتغير اللون . والارق السهر وهو من لوازم المحبة . والحنين الشوق الممزوج برقة وتذكر يهيج الباعثة . والجنون أصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا مايضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا . والود خالص الحب والطفه وارقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة . والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذى يوجد حبه لمحبوبه وهي مرتبة لاتقبل المشاركه ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم كما قال تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح وزعم من لاعلم عنده ان الحبيب أفضل من الخليل وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة والمحبة عامة قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفى الصحاح الغرام الولوع . والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وما أحسن قول السيد يوسف بن ابراهيم الامير

عشق المحبوب ظبيا مثله　　فاعتراه لهـواه وله
كان معشوقا فاضحى عاشقا　　فقضى الحب عليه وله

والرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا انه أول المراتب ويليـه الحب والحب اخص من العشق لانه عن أول نظرة واقصاه امـتزاج الارواح . والرأفة أشد الحب لانها مبالغة فى الرحمة . والصبوة لاتطلق حقيقة الا على الميل والافتتان في زمن الصبا لـكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع . والـكآبة شدة الحزن كالتفجع أو هو توجع وبكاء على الفقدوالبرح . والغل شدةالعشق . والسهدشدة السـهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع . والنصب لوعة مع مرض وغم . والخبل الجنون المتولد من شدة الحب وهذا في الاصح آخر المراتب . والجزع عدم الصـبر على الفرقة . والهلع لشدة . والخلابة سلب العقل . والبله حمق أو غفلة فيكون هنا استغراقا فى الحب . وفى ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد اوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمل وله أسماء غير هذه اضربت عنها خوف الاطالة . والمحبة ام باب هذه الاسماء كلها وقيـل الشوق جنس والمحبة نوع منه والحب حرف ينتظم الثلاثة العشق والوجد والهوي وللناس فى حد المحبة كلام كثير فقيل هى الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل ذكر المحبوب على

عدد الانفاس وقيل مصاحبته على الادمان وقيل القيام له بكل ما يحبه منك . ثم القلب اذا امتلأ من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب والذين آمنوا أشد حباً لله

(مبحث فى مدح العشق وذمه وترياقه وسمه)

فكم مدحه عاقل وذمه متعاقل هيهات فات من ذمه المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب . قال قدامة العشق فضيلة تنتج الحيلة الجميلة عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة البطل وأول باب تفتق به الاذهان وتستخرج به دقائق الافتنان اليه تستريح الهمم وتسكن نوافر الشيم له سرور يجول في الجنان وفرح يسكن في قلب الانسان . قيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وجلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح . وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس بذلك اذا عشق لطف وظرف ودق ورق قال قائل

ولا خير فى الدنيا بغير صبابة

ولا فى نعيم ليس فيه حبيب

(وقال آخر)

اذا لم تذق فى هذه الدار صبوة
فموتك فيها والحياة سواء

(وقال آخر)

ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر
حبيباً ولا وافى اليك حبيب

(وقال آخر)

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها
فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وفى حكمة كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه صاحبه قال شريك أشدهم حباً أعظمهم أجراً . وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وكلامهم يطرب الارواح ويجلب الافراح والعاشق المسكين تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكراً مخلداً ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له رأس ولا ذكر مع الناس . وسئل أبونوفل هل سلم أحد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذي ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دمائة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه . وقيل لايخلو أحد من صبوة الا منقوص البنية أو جافي لخلقة على خلاف تركيب الاعتدال

(قالت امرأة)

رأيت الهوى حلواً اذا اجتمع الشمل
ومراً على الهجران لا بل هو القتل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى
فأبعده قتل وأقربه خبل

(وفى هذا المعني قول آزاد)

شأن المحب عجيب في صبابته الهجر يقتله والوصل يحييه

وأما ما جاء فى ذمه وسريان سمه فاكثر من أن يحصى فكم ترك الغنى صعلوكا والمالك مملوكا وكم من عاشق أتلف فى معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دنياه ودينه قال الوأواء الدمشقي

سبيل الهوي وعر وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر ويوم الهوي دهر

(وقال غيره)

العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

والهوى اكثر ما يستعمل في الحب المذموم وقد يستعمل فى الممدوح استعمالا مفيدا قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وفي الحديث حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به والاول ذم والثانى مدح فتلخص من الآية والسنة ان المحمود هو فى الخير والصلاح

والمذموم هو فى الشر والفساد قيل انما سمي الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار قلت لو قال الى الهاوية لكان أنسب .

وقيل الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

فسألتها باشارة عن حالها وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى الا الهوان أزيل عنه النون

قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس أبية قال ابن الفارض رحمه الله

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عنا
وأوله سقم وآخره قتل

(مبحث فى ان العشق اضطرارى أو اختيارى)

قال أحمد ابن أبي حجلة المغربى للناس فيه كلام من الطرفين وتبختر بين الصفين فقائل بأنه اضطراري وقائل بأنه اختياري ولكل من القولين وجه مليح وقد رجيح ونحن نذكر ما يعم

به الانتفاع ونتكلم فى طوله وعرضـه بالباع والذراع فمن ذلك ماقاله القاضى محمـد بن أحمـد النوفانى في كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انمـا يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضى عليـه والمقدور هذا مما لايشك فيه ذو لب ولا يختلج خلافه في قلب وجاء فى تفسـير قوله تعالى فلمـا رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وهـذا اضطرار واضح قال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجـداً بيوسف وكمداً عليـه . وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت الله تعالى بها أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية . وفي كتاب امتزاج الارواح للتميمي قال بعض الاطباء وقوع العشق بأهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفـة والامراض المتلفة لافرق بينه وبين ذلك . وقال المدائني لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان لذى هوى اختيار لاختار أن لايهوى ولكن لا اختيار له . وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما أرادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق أي التحميل القدرى لا الشرعي الامرى انتهى . وحكي ابن حزم ان رجلا قال لعمر

ابن الخطاب رضي الله عنه رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال ابن طاووس في قوله تعالى خلق الانسان ضعيفاً أي اذا نظر الى النساء لم يصبر ومن هذا ظهر ان عذلهم فى هذه الحال بمنزلة عذل المريض فى مرضه . وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختياري والانسان هو المختار فيه بتسليط فكرته فى بحار سكراته والمحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً وقد ذم الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وأخبر ان عذابهم أليم ولو كانت المحبة لا تملك لم يتوعدهم بالعذاب على مالا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال أن ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته . والقول الصحيح الذي ليس فيه رد ولا عن محبوبه صد التفصيل فى ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف ماجبل الانسان عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة مايرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتى متن لما رأين يوسف عليه السلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه ومنهم من اذا رأي المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته فهذا وأمثاله عشقه اضطرارى والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب

منه ثم المودة وهو أن يود أو ملكه ثم يقوي الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما ثم يصير ولها فهذا وأمثاله مبدأ عشقه اختياري لانه كان يمكنه دفع ذلك وحسم مادته على أن هذا النوع أيضا اذا انتهى بصاحبه الى ماذكرنا صار اضطراريا كما قال الشاعر

العشق أول ما يكون مجانة ... فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

قال بعض الفلاسفة لم ار حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر اختياري وما يتولد منه من السكر اضطراري فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطراري مطلقا أو اختياري مطلقا غير مقبول عند ذوي العقول

(مبحث في ذكر الحسن والجمال)

وهما قسمان الظاهر والباطن والطاعن والقاطن فالباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة والجود والشجاعة والتقوي والشهامة والظاهر ماظهر من غصن قوامه الرطيب ووجهه الفائق على البدر بلا معيب قيل الحسن الصريح ما استنطق الافواه بالتسبيح والصحيح انه لايدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتي كانه نكرة لاتتعرف ومجهول

لايعرف . قال بعضهم للحسن معني لاتناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل أمر مركب من أشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشر وقيل تناسب الخلقة واعتدالها واستوآؤها ورب صورة مبيضة ليست فى الحسن بذاك . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه بياض المرأة فى حسن شعرها تمام الحسن وعن عائشة البياض شطر الحسن وقالوا فى الجارية(١)جميلة من بعيد مليحة من قريب وقيل الظرف فى القدوالبراعة فى الجيد والرقة في الاطراف والدقة في الخصر والشأن كله فى الكلام وأحسن الحسن مالم يجلب بتزيين كما قيل

ان المليحة من تزين حليها . لامن غدت بحليها تتزين . والعرب تقول الحلاوة فى العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان والرشاقة فى القد والنعومة فى الخد والبراقة في الاسنان . وقال بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف وفي الوجه المحاسن واليها الاستشراف وفي المحاسن النكت التى هى الغاية في الاستحسان والاستظراف كالملاحة فى العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق فى الخد ونكتة الخد الضرج . ومما

---

(١) الجميلة التى تأخذ جملة بصرك فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا

يستحسن في المرأة طول اربعة هى اطرافهاوقامتهاوشعرها وعنقها وقصر أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوى فلا تبذر مافى بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها و بياض أربعة لونهاوفرقهاوثغرها و بياض عينها وسواد أربعة اهدابها وحاجبها وعينيهاوشعرهاوحمرةأربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب بياضها بحمرة وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وما هنالك وسعة اربعة جبهتها وجبينها وعينها وصدرها وضيق اربعة فمهاومنخرهاومنفذ اذنيها وما هنالك وهو المقصود الاعظم من المرأة . قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها . وحكي أن يعصور أحد ملوك الصين اهدى الى كسرى أنوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب فى شعرها وتتلالأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة أذرع تضرب أهداب عينيها خديها كان بين أجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت وهذه أوصاف بها جماع الحسن وانما العبارات الكثيرة تفنن في الاوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج . وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه قيل وصوته وقال سقراط اذا حسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين . ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس

معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب شريف النسب حسن الصوت واوتى يوسف عليه السلام شطر الحسن وفى صفته صلى الله عليه وآله وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن فى الذروة العليا ومن الجمال فى المرتبة القصوى كما يفصح عنه كتاب الشمائل للترمذى وغيره وكان يدعو الناس الى جمال الباطن والظاهر ويقول ان الله جميل يحب الجمال فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة وهذا هو المطلب الذى تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي تعديل لقامته وصورته كله . وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء انه الوجه الحسن والصوت الحسن . قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس ردية والحسن أول سعادة الانسان وقلما تجد الخلق الا تبعاً للخلقة تناسباً مطرداً وأصلا لاينعكس واجماعا لاينفرد لكنه وان كان أمراً مرغوبا فيه فان حسن السيرة أفضل منه وتدل عليه وجوه ذكرها الرازى فى أسرار التنزيل ثم الشعراء اكثروا فى تشبيه الاعضاء بالحروف فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والطرف بالصاد والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين والقامة بالالف وأورد فى ديوان الصبابة لذلك أمثلة كثيرة من الاشعار وشبهوا بالفواكه أيضاً كالخدود بالتفاح والشفة

بالعناب والثدى بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضاً وأشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدى والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء فى ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير * واعلم أن الاساليب في هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به فى العادة مشبها ومقابله فى المحبوب مشبهاً به وفى كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفي كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسناً أولا وارفع الكل جعل الممدوح مشبهاً به محذوف الاداة مرشحاً بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ومما يلتحق بالحسن والجمال تلون البدن ومداره اما على صفاء الخلط أوشدة الحرارة أو ماتركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد فى السوداء وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارىء كقرب شمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثانى يلزم السمرة وان غلب البلغم وأما الثالث فهو الذى تناط به امثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه أن الجلد شفاف يحكي

ماتحته وأن الباعث اليه الاخـلاط هو الحرارة فهي كالنار ان اشتدت صعدت مالاقته وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة مابين غضب وحياء وقهر وغيرها اما الى داخل دفعة أو تدريجاً أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذى يخصنا من ذلك هنا أن نقول أن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطانى حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حد لهـا وقال بعضهم أن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا أنه لايطفئها كل هواء اذا تقرر هذا وجمع الى ماقررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصـفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبـه لان الاستبشـار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الي خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق والياس الموجب لاخماد الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم اذا آمن من ذلك لم يقع تغير وأما حمرة المعشوق فهى اما حياء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته احمرار الالوان وصفاؤها

فأفضل الالوان الاحمر الصافى المشرق مطلقاً حتي فى الشاب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل

والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمران يعني الخمر والنساء والاحامر الذهب والزعفران واللحم وأحب ما يكون اليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشيء عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعناً فيهما بل مدح لانهم أرادوا أنهما من المطالب التى لاتنال الا بالمشاق والصعوبة وقد توسع الناس فى هذا المبحث فخرجوا منه الي التفصيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقاً وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا أن كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح أن الميل اما بداعية الشهوة أو النفع ولا ضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثاني فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ في نحو الحجاز أنفع كما أن الحبشيات فى نحو الروم أجود لان حرارة الابدان تختبيء فى الاغوار زمن البرد وبالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين أجود والبيض للمحرورين كذلك قال الانطاكى وعندي أن عكس هذا أجود لما سمعت من التعليل والصحيح أن الحبشة ألطف مما عداهم مزاجا وأرق بشرة وأعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقاً ولكنهن في معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات وأما الحكم على المصريين فانهم الي السمر أميل فمن قبيل التحكم واذا أحكمت

ماقررناه من علة اصفرار الالوان علمت أن خفقان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشأن وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك — ومن المحبين الملوك وهم أحسن الناس طباعا وأطولهم باعا وأطيبهم عيشاً وأكثرهم طيشاً وأرقهم شعراً وأدقهم فكراً وأقربهم مرجوعا وأكثرهم بالحبيب ولوعاً اذ هم فى الحقيقة أولى بذلك وأحقهم بالنوم على تلك الارائك فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمداً ولحق بالشهداء ومنهم من أصبح دونه في العفاف وأقام سالف محبوبه مقام السلاف ومنهم من خلع العذار فجمع مابين ذات العقود وابنة العنقود ولكن مع صيانة ورجوع الى ديانة فهو وان طال به المجلس اختصر وان جنى فيه على محبوبه اعتذر ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة وأخرج بها وجنة الحبيب من صورة الى صورة فجارى النديم في الجريال وسما الى الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال فافضى به ذلك الى هلكه وفساد ملكه . ومن المحبين من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب فى النزاع ومنهم من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة ولهذا نهى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن تنعت المرأة لغير زوجها حتى كانه ينظر اليها والحديث فى الصحيح ومنهم من يعشق أثراً رآه ومنهم من يحب فى النوم شكلا لايعرفه فيهيم به ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة ومنهم من يعشق بالشم ومنهم

من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والنظر داعية لارق وزناد الحرق كم دعا الي الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم ومن أطوار العشق سحر الجفون ونبل العيون وتغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما في معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان وهنا تفضيل بين البيض والسود والسمر ذوات النهود وهذا مما يميل اليه المصريون فى الغالب ومن أطواره الغيرة وما فيها من الحيرة وافشاء السر والكتمان عند عدم الامكان ومغالطة الحبيب واستعطافه وتلافى غيظه وانحرافه والرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل والاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه اعلى اختلاف معانيه وقصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وقلة عقل العذول وماعنده من كثرة الفضول وحسن الاشارة الى الوصل والزيارة وذم الرقيب والنمام والواشى الكثير الكلام والعتاب عند اجتماع الاحباب وما في معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى واغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين ودواء علة الجوى وما يقاسيه أهل الهوى وتعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب وبدو الخضوع وانسكاب الدموع والوعد والامانى وما فيهما من راحة العانى والرضا من المحبوب بأيسر مطلوب واختلاط الارواح كاختلاط الماء بالراح

وعود المحب كالخلال وطيف الخيال وما فى معناه من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب وما يكابده فى طلب الاحباب من الامور الصعاب وطيب ذكرى حبيب وما عولج به العشق من الدواء وقصد به السلو عن الهوي وخفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين وأسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة ومن أطواره أيضاً هجر الدلال وهجر الملال وهجر الجزاء والمعاقبة والهجر الخلق . ومن العشاق من مات من حبه وقدم على ربه من غني وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ومنهم من خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الفناء ومنهم من حظى بالتلاق بعد تجرع كاس الفراق ومنهم من سموا بالفساق ومنهم من حمله هواه على أذية من يهواه ومنهم من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه ومنهم من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق ومنهم من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة ومنهم من تمادي على نقض العهد ومات على اخلاف الوعد ومنهم من اشبه العشاق فى محبته وشاكلهم فى مودته ومنهم من أناح به الحب فقله حتي اذهب عقله ومنهم من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العناء وبالجملة فللعشق اطوار كثيرة وللعشاق أحوال غزيرة لاتنالها العبارة ولا تحيط بها الاشارة وقد عقد الفاضل الاديب الشيخ شهاب الدين احمد بن ابى حجلة المغربي فى ديوان الصبابة والشيخ داود الانطاكى المعروف بالاكمة فى تزيين

الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ابوابا لكل جملة من هذه الجمل المذكورة واتيا بعبائر انيقة وأشعار لطيفة وحكايات رشيقة هي من عيون الاغيار مستورة اضربت عنها مخافة الاطالة وذكرت من أطرافها ماتتم به فائدة هذه الرسالة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء ومن رام التفصيل فعليه بمطالعتها المصححة لداء أهل الاهواء . وأفضل المحبين من استشهد فى سبيل الله وبذل روحه رجاء لقاء الله ونصوص الكتاب والسنة طافحة بفضائل الشهداء معروفة عند العلماء بالله تعالى . وأما عشاق الجوارى والكواعب وما لهم من العجائب فهم جمع جم لايحصى كثرة ولا يستقصى وفرة ، وممن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته واحتفل بذكرهم الشعراء في الاشعار وروى لهم في الكتب صحاح الاخبار وحسان الآثار فهم عروة بن قيس وجميل وصاحبته بثينة وكثير وصاحبته عزة وقيس وصاحبته لبني والمجنون وصاحبته ليلى وعروة بن حزام وصاحبته عفراء وعبد الله بن عجلان وصاحبته هند وذو الرمة وصاحبته مي ومالك وصاحبته جنوب وعبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش ونصيب وصاحبته زينب والمرقش وصاحبته أسماء وعتبة بن الحباب وصاحبته ريا والصمة وصاحبته رياوكعب وصاحبته ميلاء وكم من عاشق جهل اسمه أو اسم محبوبه أوشيء من سيرته أو مآل حقيقته ومنهم من منعه الزهدوالعبادةمن أن

يقضي من محبوبه مراده ومنهم من ساعده الزمان في المراد حتى بلغه ما أراد . وذكر الانطاكي ماسوى البشر ومالقوا من العبر وهو نوعان أحدهما الجنة وما لقوا من المحنة والثاني من كلف وهو غير مكلف وهذا الاخير خمسة أصناف الاول الطيور الثانى الحيوان وما وقع له من أمور العشق في اختلاف الازمان الثالث ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية الرابع مابث من الاسرار بين أصناف الاحجار الخامس مابث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية ولكل واحد من تلك الانواع تفصيل ذكره في تزيين الاسواق لالطول بذكرها بطون الاوراق . وستأتى الاشارة الى عشق ماسوى الانسان في آخر هذا الكتاب وحاصل القضية وجود العشق والمحبة فى كل جزء من أجزاء الكائنات بتقدير العزيز العليم على قدر اللياقة وزهاء الطاقة والحسن منهما ماحسنه الشرع والقبيح منهما ماقبحه الشرع وبالله التوفيق

(مبحث فى ذكر الغزلان)

قال تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين . العرب جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة

البعل قال المبرد هي العاشقة لزوجها وقال ابن عباس عواشق لازواجهن وازواجهن لهن عاشقون اترابا في سن واحد وعنه العروب الملقة لزوجها . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبب الي من الدنيا الطيب والنساء والحديث حجة على انهما من أجل الآلاء والذ النعماء حيث أحبهما أشرف النسم وسيد العرب والعجم صلى الله عليه وآله وسلم ولهما جلوة خاصة بالهند أما الطيب فقد أنزله الله مع آدم من الجنة بالهند قال ابن عباس قال على كرم الله وجهه أطيب ريحا أرض الهند هبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة اخرجه ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي فى البعث وابن عساكر وعن عطاء هبط آدم بارض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة وهي هذه التي يتطيب بها الناس ولفظ السدى نزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الاسود وقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند فنبت شجر الطيب اخرجه ابن أبي حاتم وفى الباب آثار جمة تفيد أن بالهند الروائح الطيبة . وأما النساء فقد وضع لهن الاهاند فناً رائقاً وبيانا فائقا وذلك انهم استخرجوا للمعشوقات أقساما باعتبار الجهات المتنوعة والحيثيات المتلونة ونظموا لكل قسم أشعارا عجيبة وأبدعوا فيه مضامين غريبة فاوجدوها نزهة للابصار واخترعوها مسارح للانظار ان رآها الخلى تذوب طبيعته الجامدة أو العاذل تشعل ناره الخامدة . وقد يوجد شيء من أقسام النسوان من مستخرجات العرب لكنهم ما بلغوه مبلغ الاهاند ذكره

السيوطي فى كتاب الوشاح في فوائد النكاح وقال قال ابو الفرج فى كتاب النساء من النساء الكاعب وهى الحديثة السن التي قد كعب ثديها أى ظهر ومن طباعها الصدق فى كل ما تسأل عنه وقلة الكتمان لما علمته وقلة التستر والحياء وعدم المخافة من الرجال . ومنهن الناهد وتسمى المفلكة أيضاً وهى التى نهد ثديها وفلك أي استدار ولم يتكامل بعد شبابها فتستتر بعض الاستتار وتظهر بعض محاسنها وتحب أن يتأمل ذلك منها . ومنهن المعصر وهى الممتلئة شباباً التى قد استكمل خلقها وعظم ثديها فيحدث عنها دلال وأدب وتحلو ألفاظها ويعذب كلامها فتشتد غلمتها ويقال فيها أيضاً معصرة قال الشاعر

معصرة أو قد دنا اعصارها ينحل من غلمتها (١) ازارها

ومنهن العانس وهي المتوسطة الشباب التى قد تهيأ ثدياها للانكسار وتحسن مشيتها ومنطقها وتبدي محاسنها بغنج ودلال وأحب الاشياء اليها مفاكهة الرجال وملاعبتهم وهى فى هذه الحال قوية الشهوة ومستحكمتها . ومنهن المتناهية الشباب ولا شيء أشهى منها للمباضعة ويعجبها المطاولة فى الانزال انتهى . والاهاند يذكرون العشق فى تغزلاتهم من جانب المرأة بالنسبة

---

(١) الغلمة بضم المعجمة غلبة الشهوة

الى الرجـل خلاف العرب وسببه ان المرأة في دينهم لاتنكح الا زوجاً واحـد لحظ عيشتها منوط بحياة الزوج واذا مات فالاولى فى دينهم أن تحرق نفسها معه فانهم يحرقون موتاهم والمرأة التى تعرض نفسها مع زوجها على النار يسمونهـا ستى نسبة الى ست (بفتح السين المهملة وتشديد الفوقانية) وهو العفاف وياء النسبة عنـدهم ساكنة كاهل فارس ولا استبعاد فى اظهار العشق من جانب المرأة أما ترى فى القرآن العظيم غرام امرأة العزيز بيوسف عليه السلام . والعشق بين المرء والمرأة وضع الهي فتارة يكون من الطرفين وتارة يكون من أحدهما واذا لوحظ الوضع الالهي فالمرأة معشوقة عاشقة والرجل عاشق معشوق وأهل الهند وافقوا العرب فى التغزل بالنساء بخلاف الفرس والترك فان تغزلهم بالامارد فقط ولا ذكر من المرأة فى اغزالهم ولعمر المحبة انهم لظالمون حيث يضعون الشئ فى غير موضعه كما قال سبحانه وتعالى فى قوم لوط فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد . وقد عقد الانطاكى فى تزيين الاسواق الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الي الذكور عن النسوان وقال ان أصل هـذا نشأ فى قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العـدوان . وحكى بعضهم ان أصـل ذلك من يأجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عز وجـل ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى

الارض فيجب على كل ذى نفس شريفة وهمة منيفة الزجر والردع عن هــذه الفعلة الخبيثة التى ضجت الملائكة الى الله تعالى منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فلذلك حرمه النووي مطلقاً وأخرج الخطيب عن أنس رضي الله عنه لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجوارى العواتق وحرض النخعي والثورى على عدم مجالستهم والآثار فى هذا المعنى كثيرة ولله در من قال في المتصفين بهذا الشان من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة ... فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونكم ... على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحباً بكم ... ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم ... صراطاً لنا فى الفسق غير حميد
أتينا به الذكران من عشقنا بهم ... فاوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من ... يتابعكم فى ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم ... بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا ... نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم ... ويجمعنا في النار غير بعيد

ثم نظم الانطاكي شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما فى ثلاثة أقسام . الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رمسه وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر في العشاق رسمه كمحمد بن داود الفقيه الاصفهاني

وصاحبه محمد الصيدلانى والقاضى شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفرى ابن ملك حماة وله معه حكاية غريبة وأحمد بن كليب وصاحبه أسلم ومدرك بن على الشيبانى وصاحبه عمرو ابن يوحنا النصرانى والثانى من جهل حاله وكان الى الموت فى الحب مآله وفيهم عشاق النصارى منهم سعيد الوراق وصاحبه عيسى النصرانى وابن الدورى وكان مؤدباً بحمص عشق غلاماً وكلف به . والقسم الثاني من اشتهر في العشق حاله ولم يدر مآله منهم كان تاجر يهوى غلاماً ومنهم شيخ كان ببغداد يهوى غلاماً ومنهم رجل بأفريقية كان يهوى غلاماً وازدادت محبته له حتي استغرقه الحال . والقسم الثالث من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما أراد منهم رجل صوفي هوي غلاما جندياً ببغداد ومنهم البحترى المشهور وكان يهوي غلاماً اسمه نسيم ومنهم مؤدب هوى أخا جميلا لبدر الدين وزير اليمن ومنهم الشيخ مهذب الدين ابن منير الطرابلسى وكان شيعياً هوى عبداً له كان جميلا انتهى .

والعرب فى التغزل بالامارد مقلدون للفرس والترك والاصل فيهم التغزل بالنساء نعم معني التغزل التحدث بالنساء . وأما الاهاند فلا يعرفون التغزل بالامارد قطعاً ويقولون فى لسانهم للزوج النائك وللزوجة النائكة ومن الاتفاقات العجيبة أن معناها صحيح بالعربية ايضا فان النيك بالعربية الجماع ولكن خص المتأخرون منهم هذه

اللفظة بالفواحش في عرف هذا الزمان . فان الجاحظ ذكر بعض حكماء الهند أنهم كانوا اذا ظهر فيهم العشق فى رجل أو امرأة غدوا على أهله بالتعزية



(مبحث فى قسمة العشق ومخاطباته)

اعلم أنهم قسموا العشق على أربعة أوجه بالسمع وبالرؤيا وبرؤيه التصوير وبرؤية الاصل وعقد ابن أبى حجلة فى بستان السلطان بابا فى ذكر من عشق على السماع وقال ان العشق بالسمع لمشاكلة بينه وبين المحبوب وتعارف سابق في عالم الذر ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليـه وآله وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وعلى المشاكلة لاتجد اثنين يتحابان الا وبينهما اتفاق فى بعض الصفات ولهـذا اغتم بقراط حين وصف رجل من أهل البغض أنه يحبك فقال ما أحبني الا وقد وافقته فى بعض أخلاقه وما أحسن قول ديك الجن أو عبد المحسن الصورى

بابى فم شهـد الضمير له　　قبل المذاق بانه عـذب
كشهادتي لله خالصــة　　قبل العيان بانه رب

(ومنه قول بشار)

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة　　والاذن تعشق قبل العين أحيانا

والعشق بالرؤيا مثـل ماحكي عن زليخا انها رأت فى المنام
عليه السلام فهامت به وفيه قال آزاد

رأيته أولا فى النوم جنح دجى | فبات قلبى على العلات قد حفظه
لما وجدت عظيم الفوز فى سنة | علمت أن الكرى خير من اليقظه

والعشق بالتصوير كما قال فيه آزاد

رأيت بذات الاثل تصوير فاتن | وأرجو من الله المهيمن وصله
لقد ذاب قلبي المستهام بنقله | فكيف يكون الحال ان أرأصله

والعشق برؤية الاصل لايحتاج الى التبيين والتمثيـل . وأما
المقولات في مخاطبـات العشق فسبعة مقولة المحب للمحبوبة
وبالعكس ومقولة المحب للصاحبة وبالعكس ومقولة الصاحبة
للصاحبة والتزموا فيها أن تكون احـداها امرأة أو كلتاهما
والمناسب بهذا المقام ان أعرض أمثلتها على السمع المائل وأنصدق
بجواهر ثمينة على المداد السائل فمن مقولة المحب للمحبوبة قول
الشريف الرضى

يا ظبية البان ترعى في خمائله | ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عنـدك مبذول لشاربه | وليس يرويك الا مدمع الباكي
حكى لحاظك مافي الرئم من ملح | يوم اللقاء وكان الفضل للحاكى
أنت السـلو لقلبي والغرام له | فما أمرك في قلبي وأحـلاك
سهم أصاب وراميه بذي سلم | من بالعراق لقد أبعدت مرماك

الى آخر القصيدة وقول آزاد وهو قصيدة وغالبها الامثلة المطلوبة

لقد طال أشجاني بطول مطالك فعطفاً على المملوك يا ابنة مالك
أرى البدر في أوج الدلال لعله الى الآن مالاقى بديع جمالك
وكنت هلالا ثم أبدرت فانهضي لتكميل نقصاني بحق كمالك

(وقول هذا العبد وهو قصيدة أيضاً)

يا غادة فتنتنى أين مغناك وحيثما أنت عين الله ترعاك
أضنيتني ففؤادي بات محتضراً فهل تداوين مضنى من محياك
ان الجمال ليورى في القلوب لظى أجلى الدلائل للعشاق مرآك
عساى ان مت من أيديك مت على شهادة وفؤادى بعد يهواك
أبعدت منك محبا ماجنى أبداً • أدنيت من حرم الغاوين مثواك
انى عشقت وما عشقى بمبتدع الانس والجن والاملاك تهواك
جودى بحقي من عينيك لى نظراً ألست صباً قديماً من نداماك
وعاضديني بتقبيل اللمى كرما فما ألذك تقبيلا وأهناك

القصيدة بتمامها ومن مقولة المحبوبة للمحب قول الارجانى

لما طرقت الحي قالت دونهم لا أنت ان علم الغيور ولا أنا

(وقول آزاد)

قالت اتفضحنى بحبك فانتبه اخشى أبى وأخي وكل النادي
فسترت ناظرتى بجفن مانع وعجزت عن تدبير منع فؤادي

(ومن مقولة المحب للصاحبة قول ابن الفارض)

يا اخت سعد من حبيبي جئتنى   برسالة اديتها بتلطف
فسمعت مالم تسمعي ونظرت ما   لم تنظري وعرفت مالم تعرفى

(وقول آزاد)

اجارة نوحة الورقاء تشجيني   هل تقدرين على شيء يسليني

ومن مقولة الصاحبة للمحب قول محمد بن عمران الكاتب المرزبانى الخرسانى

تقول نساء الحي تطمع أن ترى   محاسن ليلى مت بداء المطامع
وكيف تري ليلى بعين ترى بها   سواها وما طهرتها بالمدامع

(ومن مقولة الصاحبة للمحبوبة قول التهامي)

قد بحت وجدا فلامتني فقلن لها
لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سرائره
والشيء في كل صاف غير متكتم

ومن مقولة المحبوبة للصاحبة قول السيد طفيل محمد البلجرامي

بمهجتى غادة قالت لجارتها   شخص أراه خليعا فارغ البال
يحوم كل أوان حول مشربتى(١)   انى لاقتله فى أسرع الحال

---

(١) المشربة بضم الراء الغرفة والعلية والصفة

ومن مقولة الصاحبة للصاحبة قول آزاد

قالت فتاة يا نساء دورنا جليت سليمي نخبة الخفرات
فأتين تمشى الى محل جلوسها اليوم يوم الحظ للنظرات

(مبحث في أقسام النسوان وجلوة عدة من سرب الغزلان)

وقد سمي آزاد كل قسم رائع وعرفه بتعريف جامع مانع واثبت أمثلة تقربها عيون الادباء وأقوالا تهتز بها قرائح الظرفاء والامثلة التى نسبها الى نفسه اكثر معانيها من مخترعاته وقليل منها من أشعار الاهاند ومن قدرة الله سبحانه ان الحلاوة التى للاذواق من الاشعار المشتملة على أقسام النسوان فى لسان الهند لاتحصل فى لسان العرب وما منشأه الا خصوصية اللسان وظاهر أن نقل الخصوصية عن لسان الى لسان خارج عن الطاقة البشرية انما الطاقة بيان القواعد العلمية فمن تقاسيمهم تقسيم باعتبار الصلاح والطلاح فالمرأة على قسمين صالحة وطالحة . أما الصالحة . فهى التى لا تلتفت الا الى زوجها ومن لوازمها الحياء واسترضاء الزوج روى عن أبى امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها ابرته وان غاب عنها نصحته في نفسه وماله أخرجه ابن ماجة وفي الباب أخبار وآثار أخر كثيرة يعرفها

من يعرف فن الحـديث وكانت الرباب بنت امرىء القيس تحت الحسين سبط النبي صلى الله عليه وسلم فلما استشهد خطبها الاشراف من قريش فأبت وقالت والله لايكونن لي حمو آخر بعد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاشت بعد الحسين رضى الله تعالى عنه سنة لم يظلها سقف الى أن ماتت حزنا وكمدا رحمها الله تعالى ومن أمثلتها في الشعر قول الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل ولم تر الشمس الا دونها الـكلل

(وقول آزاد)

بى ظبية دهشت من ظلها أبدا كانها اجتمعت بالليث في الاجم

وأما الطالحة . فهي التي تكون عارية عن حلية الصلاح وهى على قسمين بيتية وسوقية . فالبيتية . هي التى تـكون مشـغولة بغير زوجها ولم يكن الفسق لها حرفة . والسوقية . هي التى يكون الفسق لها حرفة ويكون مدار معاشرتها على كسب المال كالرقاصات والبساطات ثم البيتية على ثلاثة أقسام احـداهن . المختفية . هي التى لايعلم فسقها أحد كقول آزاد

سـحقا لفاجرة تلوح عفيفـة وهي التى تضحي وقود جهنم
فسق خفى فى عفاف ظاهر يحكي نحاسا كامنا فى الدرهم

وثانيتهن . المتسترة . وهى التي تخفي فسقها لـكنه ظهر قليلا

بالامارات وهي الوسطي بين المختفية والمعلنة كقول ولادة (١)

ترقب اذا جن الظلام زيارتى فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك مالو كان بالبدر لم ينر وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

(وقول زين الدين بن عبيد الله)

ياعاذلا قد لجانى فى محبتها اليك عنى فانى لست اتركها
وليس يعجبني الا تعففها مع الورى ومعى وحدى تهتكها

تسترها ظاهر وظهور فسقها قليل يفهم من عذل العاذل
وقول آزاد

تخفي تعلقها بمن ولهت به وفؤادها عند المحب حبيس
وتدور مقلتها فتثبت نحوه والى الجدى يقيم مغناطيس

ومن بدائع قدرته تعالى ان المغناطيس يجذب المغناطيس ان كانت القطعتان منه متساويتين تجذب كل واحدة منهما الاخرى وان كانتا متخالفتين تجذب الكبيرة الصغيرة وأبدع من هذا انه يجذب الحديد وأبدع من الامرين أن طبيعته مائلة الى الجدى وهو كوكب قريب من القطب فانظر الي من جلت قدرته كيف صنع المعامله بينهما فان الجدى علوى والمغناطيس سفلى ذلك جرم

---

(١) هي بنت المستكفى بالله من خلفاء المغرب ابتذل حجابها بعد قتل أبيها وكانت مشغوفة بابن زيدون والظاهر ان ولادة كانت معلنة لكن قولها المذكور من شأن المتسترة

نوراني وهذا جسم ظلماني وبينهما فاصلة من الغبراء الى السماء فلا ندري أي نسبة خلقها الله تعالى بينهما منشأ للسيلان ومصدرا للهيمان مع وجود عدم المناسبة بينهما في الظاهر ومن ههنا يظهر أن واحدا منا ان عشق ذا شكل قبيح فهو معذور لاينبغي أن يلومه لائم لان الله سبحانه خلق بينهما نسبة خفية هي علة للمحبة والعقل قاصر عن ادراكها.ومن ثم قال بعض الحكماء الحسن مغناطيس روحاني لايعلل جذبه للقلوب بعلة سوى الخاصة وما أحسن ماقال الزاهي البغدادي

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك لشقوتي وقع اختياري

ذكره آزاد وثالثتهن . المعلنة . هي التي تعلن فسقها كقول بعضهم

وددتك لما كان ودك خالصا واعرضت لما صرت نهبا مقسما

ولن يلبث الحوض العتيق بناؤه اذا كثر الوراد أن يتهدما

وقول الصاحب عطا ملك في امرأة اسمها شجر موريا

ياحبذا شجر وطيب نسيمها لو انها تسقى بماء واحد

(وقول ابن الخازن في مليح)

تسل ياقلب عن سمح بمهجته مبذل كل من يلقاه يعرفه

كالماء أي صد وافاه ينهله والغصن أى نسيم هب يعطفه

(وقول العباس ابن الاحنف)

كتبت تلوم وتستريث زيارتي وتقول لست لعهدنا بالعاهد

فأجبتها ومدامعي منهلة تجرى على الخدين غير جوامد
يا قوم لم أهجركم لملالة حدثت ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لا تصبرون على طعام واحد

(والسوقية) لها قسم واحد وقد سبق ان مدارها على كسب المال بالفسق فلا بد أن يكون في وصفها اشارة الى كسب المال ومن أمثلتها ماحكى ان بعض البخلاء كتب الى امرأة حسناء ابعثى الىّ خيالك فى المنام فكتبت اليه ابعث الى ديناراً آتك بنفسى في اليقظة وقول من قال

وخود دعتني الى وصلها وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي لاينطلى فقالت بلى ينطلى بالذهب

(وقول آزاد وهو من شعر هندى)

أصرت على الامر الشنيع خليعة وما هي عن نهج الشناعة تنثنى
تدور لكسب المال بين أولي الخنا لقد أصبحت مرآة كف المزين

(مبحث فى التقسيم باعتبار السن)

والتى لم يظهر فيها أثر الشباب أصلا والشائبة الآيسة خارجتان عن المبحث لانهما ليستا قابلتين للمعاشرة قالوا المرأة على ثلاثة أقسام الاولى (الصغيرة) هي التى يظهر فيها أثر الشباب والكاعب التى نقلها السيوطي عن أبى الفرج هذه وهي على قسمين احداهما

(الغافلة) هي التي يظهر فيها أثر الشباب لكن لا تعرفه ولا تدري ما العشق كقول أبي نواس

وفتانة ترنو بعين مريضة فتقتل من ترنو اليه ولا تدرى

(وقول المتنبي)

ان التى سفكت دمي بجفونها لم تدر ان دمي الذى تتقلد

(وقول آزاد)

سلمت مكوى الفؤاد لكفها حسبته نور شقائق النعمان

وللغافلة أقسام منهن . المترقبة فى الحسن . كقول بعضهم

قل للعذول أطلت اللوم فى قمر يزيد فى كل آن حسنه نورا

(وقول آزاد)

بى غادة أنحلتني في مودتها وحسن (١) طلعتها يزداد متصلا

سعى المصور فى تصوير حليتها فما انقضت ساعة الا وقد خجلا

ومنهن (الغير المتزينة) كقول آزاد

أتت أميمة بالحناء جارتها فأصبحت من هجوم الغيظ في الضرم

قالت أرى ورق الحناء فيه دم فما ألوث كفاً طاهراً بدم

(وقوله)

تنفر عن تزيينها غادة النقا وتزعم ان الحلى مافيه طائل

---

(١) المعنى ان حسنها يزداد على الاتصال فبعد ماصور المصور حليتها ازدادت حسناً وبقى التصوير على حاله فخجل المصور لاجله

تخيلت الحناء لمـا أتوا به   دويهية تصفر منها الانامل

ومنهن (النافرة عن الجماع) كقول المتنبي

بيضاء تطمع فى ما تحت حلتها   وعز ذلك مطلوباً اذا طلبا
كأنها الشمس يعيي كف قابضة   شعاعها ويراه الطرف مقتربا

(وقوله)

لجنية أو غادة رفع السجف   لوحشية لا ما لوحشية شنف
نفور عرتهـا نفرة فتجاذبت   سوالفها والحلي والخصر والردف

قال الواحدي في شرح البيت الاول أراد ألجنية فحذف همزة الاستفهام والعرب اذا بالغت فى مدح شئ جعلته من الجن والغادة مثـل الغيداء والسجف جانب السـتر اذا كان بنصفين وقوله لوحشية يجوز أن يكون استفهاماً كالاول ويجوز أن يكون جواباً لنفسه كأنه قال ليس لجنية ولا لغادة بل هو لوحشية أي لظبية وحشية ثم رجع منكراً على نفسه فقال لا ما لوحشية شنف يعني ان السجف الذي رفع انمـا رفع لانسية لان عليهـا شنوفاً والوحشية لاشنف عليهـا . ومعنى البيت الثاني هي نفور أى نافرة طبعا وعرتها أى أصابتها نفرة حادثة من رؤية الرجال اياها فاجتمعت نفرتان فتنفرت غاية التنفر ولوت عنقها وطوت خصرها فعاق الحلي لثقله العنق فمنعه عن الالتواء وعاق الردف لعظمه الخصر ومنعه عن الانطواء فحصل التجاذب بينهما والسوالف جمع سالفة وهي صفحة العنق وقول قائل

صدور فوقهن حقاق عاج ودر زانه حسن اتساق
يقول الناظرون اذا رأوه أهذا الحلى من هذى الحقاق
نواهد لايعد لهن عيب سوى منع الحبيب من العناق

وثانيتهما . الخبيرة . هى التى يظهر فيها أثر الشباب وتعرفه وسماها أبو الفرج الناهد والمفاكة كقول آزاد

نهدت فينظر فى الثدى لحاظها هذا مريض فى السفرجل راغب

(وقوله)

نظرت الى الثديين ناهدة الحمى وعدت بحسنهما قرير العين
قالت الهى أنت زدت محاسني وهديتني كرما الى النجدين

والثانيــة . المتوسطة . وهى التى تبلغ الشباب ويظهر فيها العشق لكنها تكتمه حياء ويكون العشق والحياء فيها متساويين وهى المعصرة التى نقلها السيوطى لاجتماع الدلال والادب فيها وهذه المرتبة تحدث في وسط العشرة الثانية من العمر كقول ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى وانني قد ذبت كتمانا

وقول آزاد فى شعرهن

يدعو سعاد الى الوصال غرامها وحياؤها المناع نحو البين
هى ألقيت بين التخفر والهوى رفقاً بموثقــة بسلسلتين

الثالثة (الكبيرة) وهى الشابة التي تتجاوز عن حد المتوسطة

ويغلب عشقها الحياء وهى العانس التى تقدمت عن السيوطي كقوله تعالي وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك . وقول القيروانى

كم ليلة بت من كأسى وريقتها   نشوان أمزج سالسالا بسلسال
تبيت لاتحتمى عني مراشفها   كأنما ثغرها ثغر بلا والى

(وقول الآخر)

وسألتها باشارة عن حالها   وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست كمداوقالت ماالهوى   الا الهوان وزال عنه النون

(وقال ابن المعتز)

لاتلق الا بليل من تواصله   فالشمس نمامة والليل قواد

(وقول آزاد)

بانت سعاد مع المحب ولم يكن   لهما سوى شمع المبيت شريك
حتى إذا سمعت صياح الديك قا   لت ما غراب البين الا الديك

(وقوله أيضا)

لقدلقيت مهاة الجزع ليـلا   متيمها وباتت فى ارتيـاح
ولما لاح ضوء الصبح حالت   طبيعتها كمصباح الصباح

ولهم تقسيم مقسمة . الشاكية . هي التى يبيت محبها مع امرأة أخرى فتنفرس بالعلامات وتشكو اليه وهى على قسمين احداها الرامزة . هي التى تظهر الشكاية برمز وهي على نوعين أولاهما .

الرامزة قولا . كقول آزاد من شعر هندي على لسانها

اتيتني في لباس فاخر سحرا والحمد لله جاءتني بك المقة
ما كنت أعلم الا الطرف مكتحلا واليوم اعلمتني أن تكحل الشفة

تقول له اشارة انك بت مع امرأة اخرى وقبلت عينيها واثر كحلها لائح على شفتيك ولما كانت مثل هذه الايماآت شائعة مستعملة في ادباء الهند يفهمونها بمجرد الوصول الى المسامع وان كان الايماء فكرا مبتكرا وقوله أيضاً على لسانها

اتيت مباحا في نشاط طبيعة ومات الى ايفاء عهد مؤسس
لبست وشاحا أين يوجد مثله فصيرته جزءا لجسم مقدس

تخاطبه اشارة انك ضممت امرأة وانتقش صدرك بقلائدها ومبنى على هذا قوله على لسانها

وجدتك سيدى بين البرايا اماما بارعا ورعا نبيها
اتيت بخارق عجب صباحا لبست قلادة لاخيط فيها

واخراها . الرامزة فعلا . كقول آزاد وهو من شعر هندى

لقد سقته فتاة خمر ريقتها كلاهما في رغيد العيش قد بانا
وجاء صبحا الى مثوى حليلته فسلمت ليد المخمور مرآتا

وثانيتها . المصرحة . وهي التى تظهر الشكاية صراحة كقول آزاد على لسانها

اتيت اذا لاح الصباح مبيتنا
وصاحبت طول الليل بعض الخرائد

بنا أنت قد زادتك فى الصدر زينة

قلائد لاحت من نقوش القـلائد

وقوله على لسانها أيضاً من شعر هندى

ما لاح في شفتيك كحل رائق   انى أبينه بحسن بيان
ختمت على شفتيك ذات تدلل   كيلا تكلمني على الاحيان

واعلم انك اذا ضربت قسمي الشاكية في أقسام التقسيمين السابقين يحصل منـه اقسام آخر وكذلك الاقسام الآتية يتفرع بضربها أقسام كثيرة ولا يساعدنى الدماغ حتى أفصـل كلها وأذكر أمثلتها ومن الاقسام المشكلة بينهن (الغافلة الرامزة) لانها عديم الشعور فكيف تصدر منها الشكاية بالرمز والتوجيه ان قولها صالح لان يكون شكاية لو صدر من العاقلة كقول آزاد وهو من شعر هندي

رأت المهاة العامرية صـدره   بالظفر مكلوماً فقالت مرحبا
هـذا هلال تبتغيه طبيعتى   روحى فداؤك اعطنيه لاعبا

تعني ان الزوج بات مع امرأة أخرى وهذه جرحت صدره بالظفر فى حالة التدلل والامتناع فلما جاء الى الغافلة وهى لم تدر ان فى الصدر جرح الظفر بل حسبته هلالا لصغر سنها طلبته من الزوج لاجل اللعب ولهم تقسيم مقسمة (المضطربة) هى التى تجيء الى المحب في كمال الشوق كقول بعضهم

بلا موعد زارت وقالت سحرتنى
فوسوس حلي (١) والكرى قدجفاجفنى
وقبل حجلى أخمصي واستمالني
وشاحى وبات القرط يدوي على أذنى

(وقول جرير)

طرقتك صائدةالفؤاد وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

(وقال آزاد معتذراً عن جرير)

يأتى على من هام وقت لا يكو ن له الى الحسناء فيه ركون
طرقته صائدة الفؤاد فردها لا تعذلوه وللجنون فنون

ثم المضطربة على قسمين الاولى (المنهرة) هي التى تجيء فى النهار الى المحب من أنهر اذا دخل فى النهار كقول بعضهم

وعدت أن تزور ليلا فألوت وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت كيف صدقى وهل ترى الشمس ليلا

(وقول بعضهم)

وفتاة قد أقبلت تتهادى بين حور كواعب كالشموس
قلت للهندسى لما تبدت مثل هذى يكون شكل العروس

تشبيه الكواعب بالشموس قرينة على ان الفتاة الزائرة منهرة وقول آزاد

---

(١) وسوس الحلى صوت ودوي على أذنه أسر اليه حديثاً وحثه على شيء

قدمت مهاة(١) في الصباح عناية　　والصب من خمر الكرى سكران
لما رأتني نائما قالت ألا　　طلعت ذكاء فهب (٢) يانومان

والثانية (الطارقة) وهى التى تجىء فى الليل الى المحب من الطروق وهو الاتيانُ فى الليل ولها قسمان الاولى . الطارقة في الليل المظلم . كقول محمد بن عبدالله النميرى فى زينب أخت الحجاج ابن يوسف الثقفي

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت　　به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع　　تطلع رياه من الكفرات (٣)

وقول أبى الطيب البدرى الغزى العامرى

ألا طرقتنا قبل منبلج الفجر
معطرة الاردان طيبة النشر
وجاءت كما شاء المنى فى مطارف
من الحسن أدناها أدق من السحر
فعاطيتها صفراء بكراً كأنها
اذا جليت فى كأسها الشمس فى البدر

---

(١) المهاة المحبوبة والشمس

(٢) هب أمر من الهب وهو الانتباه من النوم قال الجوهرى يقال يانومان للكثير النوم ولا تقل رجل نومان لانه يختص بالنداء

(٣) جمع كفرة وهى الظلمة

ومازجتها ضما فرحنا كأننا
خليطان من ماء الغمامة والخمر
الى أن نضى كف الصباح حسامه
واسفر داجى الافق عن فلق الفجر
فيا ليلة ماكان أزهر حسنها
لقد أذكرتني موهناً ليلة القدر

وقد تقرر ان الليل مظلم ما لم يشتمل القول على ما يشعر بكونه مقمراً والاهاند اصطلحوا بينهم على ان موسم السحاب عدو للمرأة النائية عن محبها كلما يمطر يمطر عليها ناراً ويحرقها ليلا ونهاراً وأسس الاهاند على هذا الاصطلاح معاني نادرة ومضامين باهرة وقول آزاد

ولقد أتتنى ليلة فحسبتها ماء الحياة يسيل فى الظلماء
قالت تبسم اذ أردت تعانقا أنت اللهيب فتنطفى بالماء

والثانية (الطارقة فى الليل المقمر) وفى حديث ابن ماجة عن ابن عباس ان رجلا ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكر ذلك له فقال ماحملك على ذلك قال يارسول الله رأيت بياض حجليها في القمر فلم أملك نفسى ان وقعت عليها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لايقربها حتى يكفر وليس فى الحديث ذكر الطروق

لكن انما ذكر ههنا لمناسبة ما . ومن أمثلة الباب قول الشيخ بدر الدين الدماميني

في ليلة البدر أتت ليلى فقرت مقلتي
قالت ألا يا بدر نم فقلت هذي ليلتي

ولهم تقسيم مقسمه . الفاطنة . هي التي تعمل نوعا من الفطانة في معاملاتها بالنسبة الى محبها وهي على نوعين . الفاطنة قولا . كما في حديث عائشة رضي الله عنها قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني لا علم اذا كنت عني راضية واذا كنت على غضبي فقلت من أين تعرف ذلك فقال اذا كنت عني راضية فانك تقولين لا ورب محمد صلى الله عليه وسلم واذا كنت على غضبي قلت لا ورب ابراهيم قالت قلت أجل والله يارسول الله ماأهجر الا اسمك أخرجه الشيخان وفيه فطانة الطرفين . وقال رجل لامرأة أنت بستان الدنيا فقالت وأنت النهر الذى يشرب منه ذلك البستان . وقول بعضهم في المحبوب

بليت به فقيهاً ذا دلال يناظر بالجدال وبالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو فقال نهى النبي (١) عن الوصال

---

(١) فيه تلميح الى ماروى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن الوصال في الصوم وهو أن لايفطر يومين أو أياما وحمله المليح الفقيه على الوصال ضد الهجر

١٠٢٧٣

(وقول محمد مؤمن الشيرازى مضمناً)

رأيت غانية كالشمس كاسفها
عبد علا فلك التدوير من كفل

فلمتها فأجابتني بلا مهل
لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وللاهاند نوع من كلام على لسان الفاطنة القولية يسمونه مكرى (١) وهو أن تأتى الفاطنة فى كلامها بأوصاف تكون مشتركة بين محبها و بين شيء آخر فيسأل عنها أتريدين المحب فتضرب عنه وتحمله على شيء آخر وهو ضرب من التأويل القولي الذى مر فى كتابي غصن البان المورق بمحسنات البيان . وفيه قول آزاد

وقالت غادة الجرعاء يوما — متي أحظي بمشقوق الفؤاد
يحركه الهوى آنا فآنا — ومسكنه المعين فى البوادى
فقالت جارة تبغين صباً — حزينا بات فى أقصى البلاد
أجابت أن بعض الظن اثم — الا رطب لآكله (٢) مرادي

والفاطنة فعلا . كقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت

---

(١) بضم الميم وسكون الكاف وكسر الراء وسكون الياء التحتانية

(٢) لآكله بصيغة المتكلم لا اسم الفاعل

أخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشراً أن هذا الا ملك كريم . وقول المتنبي

حاولن تفديتي (١) وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائبا

وقول ابن الدمينة

تمارضت كي اشجي (٢) ومابك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

وقول الشيخ برهان الدين القيراطي

كم سلام بالطرف منها علينا كصلوة العليل بالايماء

(وقول آزاد)

أتت ووشاة الحي يمشون حولها فاومت علينا بالعيون ومرت

ولهم تقسيم مقسمة . المستكبرة . وهي على قسمين . الاولى . المستكبرة بحسنها كقول بعضهم

وأهيف ظل بالمرآة مغرى بواظب رؤية الوجه المليح
وقال طلبت معشوقا مليحاً فلما لم أجده عشقت روحى

---

(١) يقال فداه تفديه قال له جعلت فداءك والمعنى طلبا أن يقلن لى نفديك بانفسنا وخفن الرقيب فنقلن التفدية من القول الى لاشارة أى أشرن بوضع الايدى على ترائبهن أى أنفسنا فداؤك موضع الايدي على الترائب فطانة فعلية

(٢) أشجي أي أحزن من شجى يشجي كعلم يعلم وأما شجي يشجو فهو متعد يقال شجاني أى أحزنني

والثانية . المستكبرة بمودة المحب . كقول امرىء القيس فى معلقته

أغرك مني أن حبك قاتلي ... وانك مهما تامري القلب يفعل

(وقول أبى القاسم احمد بن طباطبا)

قالت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال أبصرته لو مات من ظمأ ... وقلت قف لاترد للماء لم يرد
قالت صدقت وفاء الحب عادته ... يابرد ذاك الذى قالت على كبدي

وذكروا أقساما أخر متفرقة للمرأة منهن . الحاصرة . هي التي تمنع محبها عن السفر مشتق من الحصر وهو الحبس عن السفر كقول أبي نواس وهو مخلص قصيدة في الخصيب صاحب الخراج بمصر

تقول التى من بيتها خف محملي ... عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ... بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى من جريهن عبير
ذريني اكثر حاسديك برحلة ... الى بلد فيه الخصيب أمير

(وقول آزاد)

لقد أتيت سليمى كي أودعها
فأخرجت عن فؤاد خافق نفسا

وعانقتـنى وقالت لاتسر كرما

سمعت خلف جداري عاطساعطسا(١)

والاهاند يتطـيرون بالعطاس فى جميـع الامور اذا عطس العاطس مرة ويتفاءلون به اذا عطس مرتين والفرس يتفاءلون بالغراب كالاهاند في تبشيره بوصال الاحباء وفيـه بيت لنظيرى النيسابوري وهو من فحول شعراء الفرس وديوان شعره مشهور واتفق العرب والفرس والاهاند على التفاؤل باختلاج العين فى الوصال ومنهن . المترجية . هى التى تترجى قدوم المحب الغائب وتشتغل بالتهيأ كتزيين نفسها وتزيين البيت كقول آزاد من شعر هندى

لقد نحلت(٢)في يوم راح حبيبها الى أن هوي من ساعديها نضارها
ولما أتاها مخبراً عن قدومه على الساعد الملآن ضاق سوارها

---

(١) العرب كانوا يتطيرون بالعطاس وخلاف هذا ما جاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب العطاس ويكره التثاؤب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عطسة فى حديث أحب الىّ من شاهدى عدل

(٢) المعنى أنها نحلت يوم فراق الحبيب بحيث سقط من يدها نضارها أى حليها كالسوار والدملج وسمنت يوم قدومه بحيث ضاق السوار على ساعدها حين أرادت أن تلبسه

ومنهن . المهجورة . كقول آزاد على لسانها

سحقاً لغادية بالغيث تحرقني من أين ماء فراح حصل الحرقا
فعل السحائب ارسال الحيا كرما فما لهذى الغوادي تمطر البرقا

قد سبق أن موسم السحاب عدو للمرأة النائية عن محبها

(وقوله)

تركت فتية رامتين حليهـا وتفيض دمعاً قانيـاً هطالا
قالت متى راح الحبيب أري الحلى دهما على الاعضاء أو اغلالا

ومنهن . النادمة . هي التى تصد عن الحبيب ثم ترجـع عن الصدود كقول الصفى الحلى

أصفتك من بعد الصدود مودة وكذا الدواء يكون بعد الداء
أبـكي وأشكو ما لقيت فتلتهي عن در ألفاظي بدر بكائى

(وقول آزاد)

أسعاد زرت العاشقين تفضلا كيف اطلعت على جوى الغرباء
وجبرت نقصان الصدود بنظرة ما أحسن الحسنى من الحسناء

ومنهن . المغترة . هي التى ترسل سفيرة الي المحب فيجامعها ثم ترجع فتعرف المرسلة ماجري بينهما بالعلامات كتمزق القميص وانفصام القلادة وانتشار الشنور وغيرها وتعاتبها ووجه التسمية ظاهرة وهو انخداعها بالسفيرة كقول آزاد على لسانهـا تخاطب سفيرتها

يا جارة ذهبت مني الى رجل
أخذت حظك من عند الذي ظلما

فصمت حبل التقى والامر متضح
أرى على صدرك التقصار منفصما

(وقوله)

سفيرة سلمي بالحبيب تمنعت   أليس على هذا براهين قاطعة
(١)فمن عرق مبلولة الجيب هذه   ومن تعب أنفاسها متتابعة

(فصل فى أقسام الغزلان)

التى هي من مستخرجات آزاد رحمه الله تعالى

الزائرة في الرؤيا . وهذا القسم كثير الوقوع فى كلام العرب مبارك الورد في رياض الادب والشعراء أبدعوا فيه معاني تطرب الارواح وترقص الاشباح كقول المعرى

سألت كم بين العقيق الى الحمى
فعجبت من بعد المدي المتطاول

وعذرت طيفك في المزار لانه
يسري فيمسى دوننا بمراحل

---

(١) قال آزاد هذا البيت للشيخ بدر الدين الزغاوى في النسيم ضمنته بتغيير يسير

وقول الباخرزي وفيه من المحسنات المعارضة

عاتبت طيف الذى أهوى وقلت له
كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست ناراً من جوانحكم
يضيء منها لدى السارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها
نور يضيء فما ذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الامر واحدة
أنا الخيال ونار الشوق تخييل

(النافرة عن الشيب) نفرة المعشوقة عن شيب العاشق موجودة فى أشعار الاهاند لكنهم ماجعلوا هذه النافرة قسما على حدة فأفرزها آزاد وهى فى كلام العرب كثيرة الوقوع كقول بعضهم

والشيب أعظم جرماً عند غانية   من ابن ملجم عند الفاطميينا

(وقول الغزي)

لا تطمعن بوصل خود أبصرت   سيف المشيب على الشباب مجردا
عذر الكواعب انهن كواكب   لا يجتمعن مع الصباح اذا بدا

(العائدة) هى التى تعود محبها المريض مرحمة كقول آزاد

عادت فتاة النقا اياى مرحمة
وكنت من كثرة الامراض فى ضيق

فذقت ماء عقيق كان ينفعني
من كل داء عضال بي على الريق

(وقول الآخر)

تجمعن من شتى ثلاثاً وأربعاً ... وواحدة حتى كملن ثمانيا
يعدن مريضاهن هيجن داءه ... الا انما بعض العوائد دائيا

(الغيرى) هى التى تغار على المحب لاتخاذه الضرة وما أظرف ماحكى ان بعض العرفاء سمع امرأة تقول لزوجها ان ضربتني أو تركتنى جائعة أو عطشة او عارية كلها أقبل ولا أقبل الضرة فعرضت للعارف حالة وتلا قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقول آزاد

لما رأت ظبية الوعساء ضرتها ... غدت تنازعها غيظاً وتوجعها
قالت لها لقمة هيأتها لفمى ... أيقبل الطبع ان الغير يبلعها

(الخائفة من الوشاة) كقول أبى مسعود المظفر بن ابراهيم الجرجانى

دنوت اليها مستجيزاً لعطفها ... وما خلت انى شائم برق خلب
فلم يبد منها غير ايماء أصبع ... وايماء لحظ خيفة المترقب
فآيسني من وصلها رجع طرفها ... وأطمعنى لى البنان المخضب

(وقول آزاد)

هى ودعتني والعواذل حولها ... ببنانها المخضوب لا بلسانها
فوجدت أى والله رقية نافث ... وبيان قس في رؤوس بنانها

(المصغية للوشاة) كقول بعضهم

لقد نبت القضيب على كثيب فأينع بالمساء وبالصباح
ومالت للوشاة ولا عجيب لغصن ان يميل مع الرياح

(وقول آزاد)

لله فاتنــة شغلت بحبها سلكت طريقــة ظالم متعسف
كذب الوشاة على واتفقوا على اغضابها فتشنفت بالزخرف (١)

(المخلفة للوعد) وتدخـل فيها الناقضة للعهد لانهــا مخلفة للوعد كقول أمير المؤمنين (٢) على كرم الله وجهه

---

(١) الزخرف الذهب وحسن القول

(٢) قال المجد فى القاموس في مادة ودق وذات ودقين الداهية كانها ذات وجهين ومنه قول على بن أبي طالب

تلكم قريش تمنانى لتقتلني فلا وربك مابروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم بذات ودقين لا يعفو لهــا أثر

قال المــازنى لم يصح انه تكلم بشئ من الشعر غــير هذين البيتين وصوبه الزمخشرى أقول وقال في مادة خيس والمخيس كمعظم ومحدث السجن وسجن بناه على بن أبي طالب وكان أولا جعله من قصب وسماه نافعا فنقبه اللصوص فقال

أما ترانى كيساً مكيساً بنيت بعـد نافع مخيسا
باباً حصيناً وأميناً كيسا

دع ذكرهن فما لهن وفاء ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه وقلوبهن من الوفاء خلاء

(وقول كثيرة عزة)

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

قيل قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز لعزة ما ذاك الدين قالت وعدته قبلة فأخلفت قالت أم البنين انجزيها وعلى أثمها وقوله

وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا
فلما تواثقنا شددت وحلت
وكناسلكنافى صعودمن الهوى
فلما توافينا ثبت وزلت
وكانت بقطع الحبل بينى وبينها
كنا ذرة نذرا فأوفت وبرت

وقول الشيخ يحيى الخباز الحموى فى الاعتذار عن مخالفة الوعد موريا ومضمناً مصراع المعرى

قال الشارح هذا ماينافى مافى ودق انه لم يثبت عن الامام سوى البيتين المذكورين هناك ويمكن الجواب بأن هذا زجر ولا يعد من الشعر عند جماعة كما أفاد الشارح

لان وعدت بالوصـل سلمى وأخلفت
فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبـدها باللوم قبل سؤالها
لعـل لهـا عذراً وأنت تلوم

(المودعة) كقول الراضى بالله

قالوا الرحيل فانشبت أظفارها في خـدها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضـة غرست بأرض بنفسج عنابا

(وقول ابن الوردى)

ودعتني يوم الفراق وقالت وهى تبكى من لوعة الافتراق
ما الذى أنت صانع بعد بعدي قلت قولى هـذا لمن هو باق

(وقول شاعر)

قامت تودعنى والدمع يغلبها فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الىّ وضمتني لترشفني كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية ياليت معرفتى اياك لم تكن

(وقول شاعر)

ألمت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق

وكان أستاذى الشيخ صدر الدين الدهلوى يتمثل بهذا البيت كثيراً وأول ماقرع سمعى هـذا البيت من لسانه ثم وجـدته فى ديوان الحماسة (الاعرابية) هي التى تنشأ وتتربى فى البدو كقول المتنبي

هام الفؤاد باعرابية سكنت　　بيتاً من القلب لم تمدد له طنبا
مظلومة القد فى تشبيهه غصنا　　مظلومة الريق فى تشبيهه ضربا

(وقول السراج الوراق موريا)

وبى من البدو كحلاء العيون غدت
في　قومها　كمهاة　بين　آساد
فلو　بدت لحسان الحضر قمن لهـا
على الرؤوس وقلن الفضل للبادى

(المرسلة) بكسر السين المهملة هي التي ترسل الكتاب أو الرسالة الي المحب كقول بعضهم

ولقد كتبت اليك لمـا جد بى　　وجدى عليك وزادت الاشواق
وشكوت ما ألقاه من ألم النوى　　فبكى اليراع ورقت الاوراق

وبعـد ما شرح آزاد نبـذة من أقسام الغزلان وغرس عدة من نوادر الاغصان نظم قصيدة غزلانيـة وأتحف الى الناظرين اليواقب الرملنية أتى فيها بجميع تلك الاقسام واحداً بعد واحد لا نذكرها فى هـذا الموضع تحاشياً عن الاعادة ونظراً الى قلة الافادة

(مبحث في أقسام العشاق غفر الله لنا ولهم)

اعلم ان أدباء الهند قالوا في مصنفاتهم انا استخرجنا أقسام النساء ويقاس عليها أقسام الرجال وما بينوا أقسامهم الا أربعة سأذكر منها قسمين المستفرد والمستكثر ولا أذكر القسمين الآخرين لعدم الحسن في ذكرها بالعربية واستخرج آزاد للعشاق أقساماً على أسلوب العرب بعضها مقابل لاقسام النساء كارق وفاطن وغيور وعائد وأكثرها لا مقابلة فيها وهذه الاقسام المستخرجة فذلكة فمن شاء فليزد عليها لان الميدان وسيع والبستان مريع وكفاك في تنوع الازواج حديث أم زرع قال آزاد رحمه الله تعالى

مراتب العشق والعشاق وافرة   ووافف دونها حصر المقادير

وبعد ما استخرج نبذة من الاقسام عن أشعار العرب ظفر ببستان السلطان لابن أبي حجلة وهو كتاب يشتمل على أخبار العشاق فرأى فيه انه توارد عليه في بعض الاقسام وتفرد عنه في بعض آخر لكن طريق بيانه من طريق الشيخ المذكور على مسافة بعيدة ولعله رحمه الله لم يفز يوماً من الدهر بديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي المذكور وكذلك بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق للشيخ داود الانطاكي

فيهما كتابان نفيسان فى أحوال العشق والعشاق والمعاشيق وأقسامها وأنواعها بحيث لا قسم ولا نوع من ذلك الا وقد أتيا به فيهما فكأنهما فتاوى هذا الفن وقد من الله عليّ بهما ووقفت عليهما واستفدت منهما في هذه المقالة ما رأيته أحرى بالاخذ على سبيل الاختصار فان الطبع اللطيف يمل من الاكثار والآن أبين ما ذكره آزاد من أقسام العشاق وأهدي لذة جديدة الى الاذواق

(المستفرد) هو الذى لا ينكح الا زوجة واحدة ولا يلتفت الا اليها وهذا الوصف محمود عند الاهاند للاكتفاء على أيسر شيء من الحظ النفسانى أما صاحب الشرع فهو بالخيار يتزوج النساء الى حد يشاء قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا . وقال آزاد

ما ود الا مهاة من بنى قثم　　فما رأى غيرها فى حالة الحلم

(وقوله)

لله ذو وله أحب خريدة　　فى حبها خال عن التقصير

قد ود واحدة ولم ير غيرها　　هو مشبه بسجنجل(١) التصوير

---

(١) السجنجل التصوير الذي فيه صورت صورة لا يرى ذلك السجنجل الا اياها فشبه به العاشق للواحدة

(وقال)

ما ان عشقت وراء بيضاء النقا　　عيشي بها في كل فصل أخضر
نيطت بواحدة علاقة خاطرى　　ولقد تسلم (١) شيمتي النيلوفر

(المستكثر) هو الذى ينكح أزواجاً متعددة ويقسم أن يسوى السلوك بينهن وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هـذا قسمي في ما أملك فلا تلمني في ما تملك ولا أملك رواه الترمذي وما أحسن قول راشد النجدي وقد كتب به الي من بلده

فلا تغترر منى بظاهر رونق　　وفى القلب ملهى بالرباب وزينبا

ثم القسم تارة يكون قولا كقول آزاد رحمه الله

رامت أميمة مني بالحمى رطبا　　والعالجية تبرا كان مختزنا
وغادة من جوارى المنحنى عسلا　　فقلت خذن وقا كن الاله جنى(٢)

وتارة يكون فعلا كقول آزاد من شعر هندي

رحم الاله متيما متبصراً　　لهج العدالة بينهن تخيرا
حاول منه الورد فى روض الحمى　　فأمال جانبهن(٣) غصناً مزهراً

---

(١) تسلم الشيء أخذه والنيلوفر عاشق للشمس ومعشوقته واحدة

(٢) الجنا الرطب والذهب والعسل

(٣) احترز الزوج عن التقديم والتأخير فى تفويض الورد اليهن وعرض عليهن الاوراد دفعة واحدة بامالة الغصن المزهر اليهن

(العفيف) هو الذي يعشق ولا يفتح على نفسه باب الفسق آن ظفر ومن أعظم شواهده يوسف عليه السلام وربما يبالغ رجل فى العفة فيكتم العشق حتي يموت كقول بعضهم

نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى وعف الى أن مات فهو شهيد

(وقال شاعر)

وأكرم أخلاق يدل بها الفتى عفاف مشوق حين يخلو بشائق

وحكي ان اعرابياً خلا بامرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قام عنها مسرعاً فقالت ولم فقال من باع جنة عرضها السموات والارض بمقدار أصبع من بين فخذيك فهو قليل العلم بالمساحة ومن أمثلته قول بشار

لاخرجن من الدنيا وحبكم بين الجوانح لم يعلم به أحد

(وقول ابن هرمة)

ولرب لذة ليلة قد نلتها وحرامها بحلالها مدفوع

وقول التهامى

وهجرت رشف رضابهن لانه خمر ولست بذائق لمدام

وقول الصفى الحلى

ولما أن خلا المغني وبتنا
عراة بالعفاف مؤزرين
قضينا الحج ضما واستلاما
ولم نشعر بما فى المشعرين

وقول نفطويه

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني
عنه الحياء وخوف الله والحذر
كذلك الحب لا اتيان معصية
لا خير في لذة من بعدها سقر

الطارق اليها في الليل المظلم كقول المتنبي

وقد طرقت فتاة الحي مرتدياً
بصاحب (١) غير عزهاة ولا غزل
فبات بين تراقينا ندفعه
وليس يعلم بالشكوي ولا القبل

---

(١) أراد بالصاحب السيف والعزهاة الرجل الراغب عن النساء ضد الغزل والردع التلطخ بالطيب يقول أتيت المعشوقة ليلا ومعي سيفي خوفاً من الرقباء ثم لما لم يصرح بالسيف وغيره بالصاحب بين بعض أوصافه حتي يتعين أن المراد بالصاحب السيف فقال كنت مرتدياً بصاحب غير متصف بالميل الى النساء ولا بعدمه وبات لايعلم بما جرى بيننا من شكوي الفراق والهوى ولوازم الملاعبة كالتقبيل واغتدى قد تأثر بما كان على المعشوقة من الطيب فظهر آثاره على ماتعلق به من السيور وعلى جفنه والغلاف الذى فيه الجفن

ثم اغتدى وبه من ردعها أثر

على ذوائبه والجفن والحلل

وفى ذلك قول للارجاني وابن خفاجة الاندلسى وغيرهما

الطارق اليها فى الليل المقمر كقول آزاد

ولقد سريت الى الابيطح ليلة فلقيت ثم خريدة معناقا

والبدر قال وقلبه متكدر لما رأى في الواصلين عناقا

هذا قريب عينه بجباهها وأرى اذا اقترنت ذكاء محاقا

الفاطن . هو الذي يعمل نوعاً من الفطانة في معاملاته بالنسبة الى محبوبته وهو على نوعين . الفاطن قولا . كقول ابن نباتة المصرى

وملولة فى الحب لما أن رأت أثر السقام بعظمى المنهاض

قالت تغيرنا فقلت لها نعم انا بالسقام وأنت بالاعراض

وقول القاضي منصور الهروى

ومنتقب بالورد قبلت خده

وما لفؤادي من هواه خلاص

فأعرض عني مغضباً قلت لاتجر

وقبل فمي ان الجروح قصاص

والفاطن فعلا . ومن شواهده قصة ذات النحيين وهى امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن فى الجاهلية فأتاها خوات ابن جبير الانصاري فساومها فحلت نحيا مملوءاً فقال لها امسكيه

حتي أنظر الى غيره ثم فك النحي الآخر وقال امسكيه حتي أذوقه فلما شغل يديها ساورها حتى قضى ما أراد وهرب ثم أسلم وشهد بدراً فقال له رسول الله صلى الله تعالى علبه وآله وسلم ياخوات كيف كان شراؤك وتبسم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال يارسول الله قد رزق الله الخير وأعوذ بالله من الحور بعد الكور ومنه المثل أشغل من ذات النحيين وقول بعضهم

يجري النسيم على غلالة خده   وأرق منه ما يمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه   فعكست فتنة ناظريه اليه

وقول آزاد

مررت على سلمي فأخفيت خاتمي
وكدت رقيباً خوفتني صوارمه
وقفت أراعي حيلة للقائها
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

الواصل . كقول أبي الفرج

وكم ليلة زارت وقد لان أهلها
وسامح واشيها وغاب حسودها
فحلت بتضييق العناق عقودها
وحلى من در المدامع جيدها

(وقول التهامي)

ألبستني سربال ضم ماله   الا رؤوس نهودها أزرار

اجنى الثمار من الغصون فحبذا　　تلك الغصون وحبذا الاثمار

المهجور . كقوله تعالى فتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وقوله تعالى على لسان يعقوب انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقول قائل

لئن نحن التقينا قبل موت
شفينا النفس من ألم العتاب
وان ظفرت بنا أيدى المنايا
فكم من حسرة تحت التراب

(وقول ابن قرناص الحموي)

ان الذين ترحلوا　　نزلوا بعين ناظره
أنزلتهم في مقلتى　　فاذا هم بالساهره

(المودع . كقول التهامي)

باكرتنا بفراقهن فجاءة　　قبل العطاس وناعب الغربان
وسفحن للبين المدامع فالتقى　　دران در مدامع وجمان

(وقول آزاد)

ودعته وفؤادى أمس فاغتربا　　وبعد مالى علم أيما ذهبا

(وقوله)

أي القيامات أشكو يوم فرقتهم
صوت الحدى وحنين الطائر الغرد
أو نغمة صدرت عن حلى مائسة
أو قول قائلة فاصبر الى أمد

(وقوله وهو معنى بديع)

سالت مدامعنا فى يوم رحلتهم
وكاد قالبنا يخلو عن النفس
لما حدى السائق القاسى ركائبهم
أننت من خفقان القلب كالجرس(١)

الساهر بالليل . كقول امرىء القيس

ألا أيها(٢) الليل الطويل ألا انجلى
بصبح وما الاصباح منك بامثل

(وقول التهامى)

خليلىّ هل من رقدة أستعيرها
أملى بأحلام الكري أستزيرها

المبتلى بالعذول . كقوله تعالى وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراودفتاها عن نفسه قد شغفهاحباً انا لنراها في ضلال مبين

وقول الارجانى

---

(١) شبه القلب بحبة تجعل في جوف الجرس وبتحركها يصوت الجرس

(٢) يقول أيها الليل انكشف بالصبح ثم يقول وليس الصبح أفضل منك عندى لانى أقاسي همومي نهاراً كما أعانيها ليلا ولان نهاري أظلم في عينى لازدحام الهموم علىّ

حبي بلومك ياعذول يزيد   فاستبق سهمك فالرمي بعيد

(وقول آزاد)

يقول لى العذول دع التصابى   الى ابليس تلميذ العذول
ضلال العاشقين هدى عظيم   فلا يعبأ بقول أبى الفضول

المتأذي بالرقباء . كقول الخوارزمي

بدت ورقيب خلفها من نسائها
فما أحسن الاولى وما أقبح الاخرى

(وقول الصاحب)

قال لى ان رقيبي   سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره

(وقول آزاد)

تركية سفكت دمي وهى التى
أسلافها أخنوا على المستعصم
حمراء صينت بالاسنة والظبا
حتم أذى الاشواك دون الحوجم
كيف العلاج ولا أنال لقاءها
بالصلح أو بالحرب أو بالدرهم

المتأذي بالوشاة . وفى الحديث شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة ومن أمثلته قول بعضهم

بابى حبيب زارني متنكراً   فبدا الوشاة له فولى معرضا

فكأنني وكأنه وكأنهم أمل ونيل حال بينهما القضا

الشاكي من عينه . شكاية العاشق من عينه في الهندية أيضاً كثيرة لكن ماجعلوا هذا الشاكي نوعاً مستقلا من أقسام العشاق واستخرجه آزاد وأدخله في أقسامهم وهو نوع أحلى موقعاً كقول الارجاني

تمتعتما يا مقلتي بنظرة وأوردتما قلبي أشر الموارد

أعيني كفا عن فؤادي فانه من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(وقول آزاد)

ولولا العيون المغويات لمهجتي

لما عرفت نار الغرام فرقت

بكين مدى الايام أيضاً صبابة

ومن آذت الجار السليم تأذت

الشاكي من جور الحبيب . كقول بديع الزمان الهمداني

هلم الى نحيف الجسم مني لتنظر كيف آثار النحاف

ولي جسد كواحدة المثاني له كبد كثالثة الاثافي

(وقول ابن العفيف)

ياساكنا قلبي المعنى وليس فيه سواك ثاني

لاي شيء كسرت قلبي وماالتقى فيه ساكنان

وفيه خليل أبداه الصفدي . وهو أن القلب ظرف لاجتماع الساكنين كما هو القانون انما كسر ما اجتمع فيه

وقول ابن أبى حجلة مورياً

يا سائلا عن حالتي ما حال من
أمسى بعيد الدار فاقد الفيه
بى صيرفى لا يرق لحالتى
قدمت من جور الزمان وصرفه

الراضى عن جور الحبيب . كقول قائل

تمنت سليمى أن نموت صبابة وأهون شيء عندنا ما تمنت

(وقول بعضهم)

ان كان يحلو لديك قتلى فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بيني وبينك الله في الحساب

(وقول آزاد)

سقى الله طيراً قيدت فى المصائد
وما نسيت عهد الحمى فى الشدائد
وان شئن يحرقن الحبائل بالجوى
ولكن رضا الصياد أعلى المقاصد

(وقوله)

لا أشتكي والله من جفواتها أنا طالب للذات لا لصفاتها
يا للعناية ان أتت باساءة يا للكرامة ان أرت حسناتها
يا صاح ان تذهب فأنت مخير أنا قد نذرت المكث فى عتباتها
ان مت فى سبل الغرام فهين أبغى من المنان طول حياتها

(الغيور) وفى الحديث ما روى عن المغيرة قال قال سعد ابن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح(١) فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير منى متفق عليه وخلاف هذا ما حكى الشيخ أثير الدين فى تفسيره عند قوله تعالى يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين نقل عن العزيز صاحب مصر انه كان قليل الغيرة وقول الطائي

أغار على القميص اذا علاه   مخافة ان يلامسه القميص

(وقول المتنبى)

أغار من الزجاجة وهي تجرى   على شفة الامير أبى الحسين

قالوا ان هذه الغيرة انما تكون بين المحب والمحبوب كما قال كشاجم

أغار اذا دنت من فيه كأس   على در يقبله زجاج

فأما الامراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاههم وقول الارجاني

اذا هب النسيم بطيب نشر   طربت وقلت أهلا يارسول
سوى اني أغار لان فيه   شذاك وانه مثلى عليل

(وقول الصفى الحلى)

يغار عليك قلبى من عياني   وأخفي ما أكابد من هواكا

---

(١) يقال أصفحه بالسيف ضربه بعرضه دون حده

مخافة أن أشاور فيك قلبي فيعلم أن طرفي قد رآكا

المغتبط . من الغبطة ومضت أمثلتها في غصن البان فيلتفت الى ثم وأذكر مثالا واحداً ههنا كيلا يكون المقام خالياً عن المثال مطلقاً وهو قول ابن عبد الظاهر في معشوقه نسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلوهم يا ليتنى كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

العائد . هو الذي يعود حبيبته المريضة روى أن كثيراً عاد عزة من مصر وهى مريضة بالعراق فأنشأ يقول

وعزة قالوا بالعراق مريضة
فأقبلت من مصر عليها أعودها
فوالله ما أدرى اذا أنا زرتها
أأبرئها من دائها أم أزيدها

المترجى . هو الذى يترجى قدوم الحبيب الغائب كقوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا . وقول آزاد

قد جاء من سبأ بشير الهدهد وأفادني نبأ الغزال الاغيد

(وقوله)

جعلت يد الهجران سود وجهه
أسحارنا في صبغة الآصال

قالوا ستر جع من تحب مجيئها
نفسي الفـداء لهـذه الاقوال

المسئول عن حاله . كقول الشاب الظريف

لا تخف ما فعلت بك الاشواق
واشرح هواك فكلنا عشاق
واصبر على هجر الحبيب فربما
عاد الوصال وللهوى أخلاق

(وقول آزاد من قصيدة)

يا صاح أي سقام بات يضنيكا
وأى شيء وقاك الله يشفيكا
يا حسرة الوقت مالي بالرقى خبر
لو كنت أعلم هذا الفن أرقيكا
صواحب الحسن بالجرعاء وافرة
من التى بسهام العين ترميكا
تلقيك مائسة الاغصان في قلق
ورؤية الوردة الحمراء تشجيكا

المائل الى اشباه الحبيب . حكى عن كثير عزة قال بينا أنا أسير فى بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالته فقلت ما حبسك ههنا قال أهلكنى وأهلى الجوع فنصبت حبالتى هذه لاصيب لهم شيئاً ولنفسى ما يكفينا يومنا هـذا قلت أرأيت ان

أقمت معك فأصبت صيداً أتجعل لى منه جزءاً قال نعم فبينا نحن كذلك اذ وقعت ظبية فى الحبالة فخرجنا نبتدر فسبقني اليها فحلها وأطلقها فقلت له ماحملك على هذا قال دخلتني عليها رأفة لشبهها بليلى وأنشأ يقول

أيا شبه ليلى لاتراعى فانني لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها فانت لليلى ماحييت طليق

(وقول بعضهم)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(وقول قائل)

ذكرت سليمي وحر الوغى بقلبى كساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدها وقد ملن نحوى فعانقتها

المعظم لآثار الحبيب . كقول المتنبى

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا
وكيف عرفنا رسم من لم تدع لنا
فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

قال ابن بسام في الذخيرة أول من بكي الربع واستبكى ووقف الملك الضليل حيث يقول قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ثم جاء أبو الطيب فنزل وترجل ومشى فى آثار الديار حيث يقول نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة . ثم جاء أبو العلا المعرى فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول

تحية كسرى فى السناء وتبع لربعك لا أرضى تحية أربع

(وقول القطامي)

انا محيوك فاسلم أيها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل

(وقول بعضهم)

تحية صوب المزن يقرأها الرعد
على منزل كانت تحل به هند
نأت فأعرناها القلوب صبابة
وعارية العشاق ليس لها رد

الباكى على الاطلال والآثار . اعلم أن شعراء العرب أكثروا من أغزالهم ذكر الاطلال والاماكن والبكاء عليها بعد ماخلت عن الاحبة وذكر الاشجار الصحرائية كالاثل والضال والاراك والبان وغيرها وذكر الجمل والحادي والسرى وهذا الطريق مختص بهم ما هو فى الفرس ولا في الاهاند وكذا اكثروا ذكر الحمائم والنسائم والغمائم وشعراء الفرس شاركوهم فى الاولى والثانية

وشعراء الهند في الثالثة ولهؤلاء مكان الحمامة (١) الكوكلاء

(وقال طرفة وهو مطلع معلقته)

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(وقول بشار)

أبى طلل بالجزع أن يتكلما   وماذا عليه لو أجاب متيما

(وقول المتنبي)

أثاف بها ما في الفؤاد من الصلا   ورسم كجسمي ناحل متهدم

(وقول الارجاني)

سلا رسوماً أقامت بعد ماساروا   أعندها من أهيل الحي أخبار

(وقول الشيخ عبد الرحيم البرعي)

بالابلق الفرد اطلال قديمات   لآل هند عفتهن الغمامات

وملعب لعبت هوج الرياح به   كأنهم فيه ما ظلوا ولا باتوا

---

(١) الكوكلاء بضم الكاف وسكون الواو وكسر الكاف الثانية واللام والالف وهي طائر رقيق الصوت مخصوصة بالهند مؤنثة سماعية في لسانهم وفيها قال آزاد

انا في ديار الهند جبت تنوفة

ملآى من الريا جميع حدودها

فعرفت أن قد ناح فيها الكوكلا

وورت بحرقة تلك أغصن عودها

(وقول الشيخ بهاء الدين العاملى)

قف بالطول وسلها أين سلماها

ورو من أدمع الاجفان جرعاها

صاحب حدبث الورقاء والطرفاء وأمثالها . كقول مهيار

حمام اللوى رفقاًبه فهو لبه　　جواداًرهان نوحكن ونحبه

(وقول ابن بابك)

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى

فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

وفيه تتابع الاضافات وقصر جرعاء تأنيث الاجرع للضرورة كذا في مطول التفتازاني ويمكن اصلاحه بوضع لفظة مرعى مكان جرعا ودومة الجندل بضم الدال المهملة اسم موضع والاسم المركب فى حكم لفظ واحد فارتفع تتابع الاضافات والقصر مع عدم الفرق في اللفظ بين المصراعين الا بالميم والدال وقول مجير الدين ابن تميم مورياً

لم أنس قول الورق وهى حبيبة

والعيش منها قد أقام منغصا

قد كنت ألبس من غصونى أخضرا

فلبست منها بعد ذاك مقفصا

(وقول بعضهم)

أحمامة فوق الاراكة خبرى　　بحياة من أبكاك ما أبكاك

أما أنا فبكيت من ألم الجوى وفراق من أهوى أأنت كذاك

وقول آزاد

عطفاً على أطيار ذى الحصحاص
جاء الربيع وهن في الاقفاص
من ذا الذي يسعى لوجه الله فى
تخليصها عن محبس القناص

(وقوله)

خف الله يا صياد طير الاجارع
أتقتلها وقت الثمار الايانع
عليك بتعمير الابارق رأفة
أتجعلها قفراً بقتل السواجع

(وقوله)

رأيت الامس فى قفص سجوعا يحن الى الجداول والطلال
يقول من الذى آنا يسيراً يعلقني بطرفاء العوالى

(وقوله)

رحم الاله حمامة يمنية سجعت بموعظة على الاغصان
قالت لقد أبصرت مكتوباً على
باب الحديقة من أنوشروان
عهد الربيع الغض برق ذاهب
فاغنم نصيبك من غصون البان

أبصرت في الاقفاص طير المنحني

صبرت على جور الزمان الجاني

نسيت على غصن الاراكة عشها   أنى رجاء الفوز بالافنان

(وقوله)

ورد الربيع على الحمام جديدا   قلبي يحدث أن يصير شهيدا

هزت أثيلات الغوير أسنة   يقتلن آه مطوقاً غريدا

(وقوله)

لقد برع الاقران في الهند ساجع

وجدد فن العشق يا للمغرد

فلا عجب ان صاده متقنص

ألم تر في الاسلاف قيد المجدد

تلميح الى ماوقع للشيخ أحمد السهرندي مجدد الالف الثاني حبسه سلطان جهانكير في قلعة كواليار

(وقوله)

شاهدت ساجعة على يد صائد   نقلت الى قفص من الافنان

قالت تفجر دمعها متسلسلا   هذا جزاء العيش في البستان

(وقوله في المستزاد)

يا ساجعة على اثيل الجبل   أعلاك الله

أرويت غصونه بماء المقل   رواك الله

تروين حـديث جيرتى من اضم ما أحسنه

أحييت بذكرهم أسير الاجـل حياك الله

(صاحب حديث النسيم) كقول علاء الدين الجوينى

مذ صار مبيتنا بضوء القمر والحب نديمنا وصوت الوتر

نادى بفراقنا نسيم سحرا ما أبرد ما جاء نسيم السحر

(وقول الحاجرى)

لا غرو ان لعبت بي الاشواق هي رامة ونسيمها الخفاق

(وقول القاضى مجير الدين موريا)

شكراً لنسمة أرضكم كم بلغت عني تحية

لا غرو ان حفظت أحا ديث الهوى فهي الذكيه

(وقول شهاب الدين الحاجى موريا)

لا تبعثوا غـير الصبا بتحية

ما طاب فى سمعى حديث سواها

حفظت أحاديث الهوى وتضوعت

نشراً فيا لله ما أذكاها

(وقول آزاد)

من أى ناحيـة مجيئك يا صبا ان كان من أرض الحبيب فرحبا

طي الطريق على العليل مشقة فخجلت حيث أتيت نحوى متعبا

ما كنت تعرفني وزرت بداية لم لا وسواك الاله مهذبا

أحييتني كرماً بنفحة وردة بسمت فأخجلت الوميض الاشنبا

(صاحب حديث القلب) وانما ذكره لكونه مشتملا على رقة تذيب القلوب الجامدة وتوقظ العيون الراقدة وهو العاشق الذي يحدث عن قلبه كقول بعضهم

أليس وعدتنى يا قلب انى اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى فما لك كلما ذكرت تذوب

(وقول الفقيه عمارة اليمنى)

قلبى كفاه من الصبابة انه
لبى دعاء الظاعنين وما دعى
ومن الظنون الفاسدات توهمى
بعد الفراق بقاءه فى الاضلع

(وقول آزاد)

ياسائلا عن فؤادى كيف حالته
اسمع لقد جذب المحبوب فانجذبا
رأيته يوم سار القوم من اضم
يروح فى عقب المعشوق مضطربا

(وقوله)

جمر ذكى في ضلوع المغرم تالله خير من فؤاد مؤلم

(وقوله)

سلمت قلبي لسلمى وهي تطمعه ولست أدرى أترعى أو تضيعه

(صاحب حديث الطيف) قد مضى ذكره في الزائرة فى

الرؤيا وكان بعض المعانى المتعلقة بالطيف مناسباً بحال العشاق فعقد باباً له فى أقسامهم كقول من قال

زهاعنى وأعرض واستطالا   وآلى لا يكلمني دلالا
وكان يزورنى منـه خيال   فلما أن جفا منع الخيالا

(وقول أبى تمام)

ظبى تقنصته لما نصبت له   في آخر الليل اشراكا من الحلم

(وقول القسطلى)

ان كان واديك ممنوعاً فموعدنا
وادى الكرى فلعلى فيه ألقاكا

(وقول آزاد في النبي صلى الله عليه وآله وسلم)

فداء محمـد قلبى وروحى   على العلات يسعدنى برفده
أتانى زائراً فى النوم ليـلا   فسبحان الذى أسرى بعبده

(الشائم) كقول آزاد

أصارم أم وميض لاح من أحـد
لقـد قتلت به قتلا بلا قود

(وقوله)

أترى بروق جوانب الانجاد   لما بسمن ورت بهن زنادي
وجناتها تجلو البصائر في الدجى   رحضاؤها تشفى أوام الصادى

(الذاكر لايام الحمى) كقول المعرى

ويا وطني ان فاتني بك سابق   من الدهر فلينعم لساكنك البال

فان استطع فى الحشر آتك زائرا　　وهيهات لى يوم القيامة أشغال

(وقول ابن طباطبا)

لله أيام السرور كانما　　كانت لسرعة مرها أحلاما

ياعيشنا المفقود خذ من عمرنا　　عاماً ورد من الصبا أياما

(وقول آزاد)

مضى زمان لقينا فيه جيرتنا　　غنى المهيمن عن أيامنا الاول

نعد شوقاً واخلاصاً مناقبهم　　ببحة من لآلى أبحر المقل

(الشائب المتأسف على الشباب) كقول بشار

لا يرحل الشيب عن دار يحل بها　　حتى يرحل عنها صاحب الدار

(وقول أبى تمام غالب الملقب بالحجام)

ليالى كان العيش غصناً يظلنى

نضيراً وماء الوعد غير مشوب

وعينى قد نامت بليل شبيبتى

فلم تنتبه الا لصبح مشيب

(وقول العلوى الحمانى)

عريت عن الشباب وكنت غضاً

كما يعرى عن الورق القضيب

ونحت على الشباب بدمع عينى

فما نفع البكاء ولا النحيب

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما فعل المشيب

(الناذر) هو الذي يوجب على نفسه عملا تكون فيه حسبة على مذهب العشق بشرط أن يحصل له ما يتمناه كقول آزاد

مررت على ترب الفراش عشية
وألفيته صبا شهيداً منورا
نويت هنا أن ألق شمع النقا أضيء
على تربه الميمون شمعاً معنبرا

(وقوله)

لقد بعدت عني منازل جيرتي
فلا تتراءى ذرة من غبارها
نذرت اذا أحظى برؤية دارهم
أكحل أجفاني بظل جدارها

(الموصى) هو الذى يأمر شخصاً أن يفعل ما يتمناه على مذهب العشق بعد موته كقول طرفة

فان مت فانعيني بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد

(وقول آزاد)

يا صاح بى أنت لا تأسف على فقد
صار الهوى من أوان المهد دستوري

ألا سأبذل روحي في هوى قمر

فاكتب على لوح قبري سورة النور

(المتكلم بعد الموت) قد مضت أمثلة هـذا النوع في كلام الروح من كتاب غصن البان وأورد هنا أيضاً شيئاً من كلام قتلى الغرام غفر الله لهم كقول آزاد رحمه الله

رآني حمام في المحبة فانيا

وزار ترابي بالابيطح باكيا

تلا آية الترجيع طوراً وقال لي

فنيت وايم الله قد صرت ناجيا

طويت بلاد الشرق والغرب كلها

فلم أر في العشاق مثلك صابيا

بعثت على دين المحبة والهوى

وعشت الى نهج الصبابة هاديا

لقد كنت في حزوى بقدري عارفاً

الى الله أشكو في فراقك مابيا

وأرجو من الله المهيمن انني

سأنصر تربي في جوارك ثاويا

فلما أتم النائح القول قلت يا

معالج أدوائي ترفقت وافيا

جزيت جزاء المحسنين رفقت لى
وأجريت دمعاً من مآقيك قانيا
أصابتك مني غاية الحزن فاستمع
بشئ عجيب من حقيقة حاليا
فنيت ولكنى هويت حبيبة
عنايتها تحيي عظاماً بواليا
الا كلما تبدو وتبسم رأفة
أذوق حياة ثم أعشق ثانيا
فلا تحسبنى فائتاً عنك وأنتظر
ستبصرنى حياً بسلمى فياليا

وللسيد آزاد رحمه الله قصيدة هيمانية أتى فيها بجميع أقسام العشاق المذكورة هنا لا نذكرها فراراً عن التكرار وهذا آخر ما رام آزاد رحمه الله ايراده في سبحة المرجان

(مبحث فى ذكر من كلف وهو غير مكلف)

اعلم انا حيث أنهينا الكلام فى هذا المقام الى ما يتعلق بالانسان عن لنا أن نبين كيفية دخول العشق فى باقي أنواع الاعيان والعشق سر يودعه الله فى الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها ثم يختلف

باختلاف البواعث والدواعي وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هـذا لا يخص نوعاً دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليـه أدلة التجربة والقياس غير انه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوى الادب وقد صح ان الانسان أفضـل الموجودات لعلمـه بأحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسـطة نظام هـذا الشان ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهي القول الى الاجرام العنصرية وما بينهـا و بين الطبقات السماوية وهذا النوع ينتظم فى خمسة أقسام . الاول فى الطيور . وهى ألطف الحيوان مزاجاً لانحلال كثيفها بخرق الهواء وذهاب فضلاتهـا فى نحو الريش فلذلك داخله التألم بالنوى قالوا ان أوفى الطيور في المحبة القمري والشفني أعني الفاخت وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيراً ما سمعنا عن نحو البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهى والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات . وحكى عن سفيان ان بلبلا كان لولده وانه أقام يرعى ويأتى البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات وأما قصة (١) الزاغ فمشهورة جداً

---

(١) وهى ان النعدى قال وجه الى يحي بن أكثم بالمثلثة فدخلت واذا عن يمينه قمطر جلد يعني قفصاً فقال اكشفه فكشفته

وحكي الشيخ أن أعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيل وانها أقرب من غيرها الى مزاج الانسان حتى أنها لاتنزو على محرم أبداً وفى تزيين الاسواق حكايات من حمامة وغراب وبط وخطاف وزاغ وحصان وفيل وكلب وحمار وعشقهن . وأما

فخرج شخص نصفه الاعلى انسان والاسفل زاغ فقال لى كلمه فاستسميته فأنشد

أنا الزاغ أبو عجوه أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا ن والنشوة والقهوه

الى آخر ما أنشد ثم قال يا كهيل أنشدني غزلا فقال يحيي قد استنشدك فأنشده فانشدته

أأغرك ان أذنبت ثم تتابعت
ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب
وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي
وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ليحيي أصلحك الله أو عاشق أيضاً ثم سألته عنه فقال لا أعرف الا ما رأيت وقد وجه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم أفضه أظن فيه أمره . تزيين الاسواق

وأما العشق فى الانفس النباتية فقد جزمت الحكماء أن أصح النبات وأعدله وأكمله خلقاً جمع أموراً تسعة الورق والعود والتمر والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل فى النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفى الاخبار أنه من طينة آدم وفى الصحيحين تعرفون شجرة هي كالرجل المسلم الحديث وفى الفلاحة النبطية أن النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى فقد صح أن النخلة اذا لم تحمل ضرب في أصلها بفأس ويقول شخص آخر لاى شيء هذا فيقول الضارب دعني أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها في ضمانى العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك . وأما ما بين الفلفل والكافور والنفط والتين والزنجبيل والازدارخت فاشهر من أن يحكي وغاية الامر أن يدعي فيه الخواص فيقال أن شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص . وأما الاحجار فاعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك فى وجوده وهذا لكثرة وجود المغناطيس والا فلسائر المتطرقات أحجار من الجمادات تجذبها لمشاكلة بينهما فى الزيبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل . وأغرب منه ماحكي في اختصار الكائنات للمعلم أن فى البحر دابة كالارنب يتولد فى رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا أن شخصاً نزل بارض اللؤلؤ مما يلي جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها

وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار . وأما الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدوائر فمتطابقة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحاً وأقطابا وطبعاً وتشعبت قوى وجوانب ونقصاً وزيادة الى غير ذلك فمثالها في الانسان اثني عشر مخرجا عيناذ وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لاتزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق ومفاصل بالجوزهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران الهاوتحريك الجمادات الى غير ذلك مما لايليق بهذا المحل وهل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولو الابصار وليتذكر أولو الالباب فسبحان من اوجد ذلك واستغني عنه وأثر فيه ومنه لاتغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان . والاصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما ضم اصلاح الظاهر الى ماذكر طلباً لتحصيل الـ .ال ودلالة في الاغاب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق الثابت من الكتاب والسنة في تلك المواقف مستمداً بالمراصد مستعداً للاوامر الالهية وتلقي ما في تلك الصحائف

وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والاصول جامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة والبدر التم في سماع الجلالة والجزء الاخير من العلة التامة للرسالة صلى الله عليه وآله وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك مايجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالخط الاوفر من أمهات الاخلاق وهى الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذه الموارد كالاخلاط للمزاج افراطاً واعتدالا وخير الامور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم والرضا بالقدر والقضا وهذه الخصال هى الداعية الى حفظ مابه النظام من النفس والعقل والعرض والمال والدين فان المتخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدنية وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة الحقة المطهرة فقد أغنت عنها فهذه الاخلاق التى لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكره بهذا المحل وقد سبق مبحث فيه فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف

الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدى الى الافكار فلو لم يكن الحسن فى نفس الامر كذلك ما اختلف فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل فى تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى أهل التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد   وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع   وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها يسر القلب ويسري الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن أكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى فى ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ماله فيه ذرة ولم يكن ارتضع من هذا اللقح درة بل أول من استنتج هذه الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة عمر بن الفارض رحمه الله ثم لهج الناس بهذه الطرق

والمذهب الاول هو الصحيح المعتبر والاحتيال على طيف الخيال أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل اليه بالمنام وانما تدعو الحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ومنهم من ذم النوم فى قالب الاعتذار عن طيف الخيال كانه يقول ان المنغصات فى الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم لا ترى ان من يحلم بمحبوبه أو شيء من مطلوبه ينتبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم انه أحدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من الملذات لم يأت النوم به جريًا على عوائد الزمان فى الاتيان بغير الملائم للانسان

(فصل في أحوال العشاق)

وقد مضت أمثلتها فى فصل أقسام العشاق فهذا الفصل كالذيل له يفيد بعض فوائد جديدة منها أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولها عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب فى ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق وانما أكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدوء الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها

فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصاً قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا ينسيه مراده . ثم اشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي أوقعه فى الفضول وكيف أدخل نفسه بين الاحباب حتى انتقم منه أهل الآداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعناً بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام . ثم أحكام الزيارة وما جاء فى فضلها من اليراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وايثار أنفاسه على نفائس الطيب قيل كان الشافعي رحمه الله يكثر من زيارة أحمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعي انك لتزوره أكثر وهو المحتاج اليك فأنشد

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارني فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل فى الحالين له

وجعل عمر بن الفارض الزيارة تفضلا من المحبوب ومنة منه على المحب فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته وطيب الحبيب غاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها
وفى الغرب مزكوم لعادله الشم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الاصول ويهتدى الى الحاقه بها أهل العقول ما جرى على ألسنة الاحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيده المحبة وذام له بين الاحبة والصحيح انما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر قال فى احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن أولي الالباب . وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع في نفسه من أخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره واما عتاب يفضى الى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فتقريع يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه نصلا وأصلا وقد قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال وان أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفا أفضل من ترك يعقب الجفا وقال على كرم الله وجهه فى تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل اعف واصفح بلا عتاب وقال بعضهم عتاب المحبين الذلة فى الاعتاب وخدمة الابواب . ومما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه في باب الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح عن التجني حين يذوق جناه ولسخ سخطه وظلمه بظلمه ورضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين اليه لا يصدهم عنه صد ولا

يقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيـه لومة لائم ولا يعـدون جور ما يرد من الظلم من المظالم . والهجر . عنـد أهل المحبة بعـد الاستقصاء الى أربعة أقسام . هجر الدلال وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا في كل رتبة فيقع لاحدهم بعد المبالغة في هـذا الصفاء أن يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الاوصاف . وهجر الملال هو هجر منشأه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيـه غير عريقة بل منشأها علة على الحقيقة وسببه ما ذكر من الاختلاف وتحرى النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد وربما محته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضـية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر . وهجر الجزاء والمعاقبـة هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الأوبة عنـد صدق التوبة وعلاجـه تصديق الحبيب فى دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو ممن عليه قدر والهجر الخلقي وفيـه حديث الارواح جنود مجندة فما تعارف منهـا ائتلف وما تناكر منهـا اختلف وهـذا القسم والذي قبله

لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه وبعضهم يرى ان الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب وهذا القسم لا علاج له أصلا الا بالارادة الالهية . ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤول الامر فيه بالعاشق الى أن يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون فى الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمادى الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضاء فيأخذ العاشق في سح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع الي حضيض الخضوع وأما نفى كدر الهم والصدود باستجلاب الامانى والوعود والتعلل بالامانى والطمع في التهانى فهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافي الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته وأعجب ما فيه ان الراضين به مع العلم بزوره أكثر العشاق وأغلب من نودى عليه في هذه الاسواق والمترسمة أكثروا فى هذا الباب الاقوال واختلفوا باختلاف الاحوال ومن كلام أفلاطون الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس ان لم ينفعك فقد أنهاك قيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك . وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد

وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفه العاشق القانع الملتى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله واطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتأليف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحداً في العين الاحول الذى يرى الشيء اثنين وحاصل القضية انه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لم يقف على غاية فى المطلوب باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش ونمام ومجالس الورد النمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع فى ضيق القفص ومن صفا له الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد فى محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه ومن حالات العشاق مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يقضى الى التلف . وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء

﴿ خاتمة ﴾

للشعراء مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها لتلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة اثارة ماقر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعد ماحال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوي الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب أذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف قال ابن نباتة المصرى

أيها العاذل الغبي تأمل　　من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين　　ان فى الليل والنهار عجائب

(ولابن المطران)

ظباء أعارتها المها حسن مشيها　　كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك المشي جاءت وقبلت　　مواطيء من أقدامهن الغدائر

(ولحسام الدين الحاجري)

ومهفهف من شعره وجبينه　　تغدو الورى في ظلمة وضياء

لاتنكروا الخال الذى فى خده　كل الشقيق بنقطة سوداء

(ولشمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق أسمر قده
وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيباً كيف لم يظهر الدجى
وقد طلعت شمس النهار على رمح

(ولابن المعتز)

سقتني فى ليل شبيه بشعرها　شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين للشعر والدجى　وشمسين من خمر وخد حبيب

(ولابن نباتة)

وأغيد جارت في القلوب لحاظه
وأسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجلى نظراً في حاجبيه وطرفه
ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

(ولعلاء الدين الوداعى)

رمتنى سود عينيه　فأصمتنى ولم تبطى
وما فى ذاك من بدع　سهام الليل لا تخطى

(وللصلاح الصفدي)

بسهم أجفانه رمانى　فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم　لانه قاتلى بعينه

(ولبدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت باني مخطيء
وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي
فالخط زور والشهود سكارى

(ولابن قلاقس)

فوق خديك دليل ان نهديك ثمار
ما اختفى الرمان الا وتبدى الجلنار

(ولمظفر الاعمى)

قبلته فتلظى جمر وجنته وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(ولبعضهم)

فتنت بتركى حمانى عناقه
عقارب صدغيه على خده صرعى
ألم تر أنى كلما رمت لثمه
تخيل لى من سحرها أنها تسعى

(ولابن الوردى)

قال من أهواه صف صدغي بما فيه توجيه وحببه الى
قلت ان الصدغ لام قد كوى نصبها قلبي فهذا لام كي

(ولابن نباتة المصرى)

لله خال على خد الحبيب له بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به وكان عهدى بأن الخال لا يرث

(ولبعضهم)

غـــدا خاله رب الجمال لانه
على عرش كرسى الخدود قد استوى
وأرسل في الاصداغ رسلا أعزة
على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر)

يريك بوجنتيه الورد غضا ونور الاقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا لتعلم كم خبايا فى زوايا

(وقال آخر)

أبو طالب فى كفه وبخده
أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله
الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وللدماميني)

تحدث ليل عارضه بانى سأسلوه وينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى كلام الليل يمحوه النهار

(ولغيره)

سألته في ثغره قبلة فقال ثغرى لم يجز لثمه
فهاكها في الخدواقنع بها ماقارب الشيء له حكمه

(وقال آخر)

ذكرت ريق حبيبي بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب فالشيء بالشيء يذكر

(وللصلاح الصفدي)

رشفت ريقك حلوا فلم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل وأول الغيث قطر

وقد أكثروا من هذا النمط أعنى التشبيب بالوجه وأعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وابهج وأعلى وألطف وأما ماعداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان او اكثر في عضو بعينه أما في ضمن غيره فكثير وأما مطلق القامة بما فيها فاكثر من أن يحصى مافيه وماقيل من أن أول من وصف الثدى عمرو ابن كلثوم وثدى مثل حق العاج رخص . مصون عن اكف اللامسينافأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيراً غاية الامر أن المتأخرين ألطف وأورد الانطاكى أشعاراً كثيرة لشعراء كثيرين فى وصف أعضاء المعشوقة متفرقة وللسيد غلام على آزاد البلجرامى رحمه الله قصيدة سماها مرآة الجمال أتى فيها بوصف كل عضو من أعضاء الحسناء وصنع مرآة ينطبع فيها

بدن العذراء من الرأس الى القدم وأبدع فى تشبيهاتها واستعاراتها بما لم يسبق اليه أحد من الامم وهي خمسة ومائة بيت ولقد أنشأ الفصحاء المتقدمون والبلغاء المتأخرون فى الباب أشعاراً أكثر من أن تعد وأزيد من أن تحد وذكر الانطاكى منها جملة كافية ونبذة وافية لكني ماوقفت على أحد منهم شبب بمثل هذا التشبيب ووصف الاعضاء في كلمة واحدة على الترتيب الى أن وقعت القرعة على علم آزاد وجاءت هذه التحفة في سهم قلم هذا الجواد ومثل هذه القصيدة الحسنية مثل القصائد البديعيات حيث شرع فيها الشيخ صفى الدين الحلى ثم جاء جمع من الفرسان وأطلقوا أعنة الاقلام فى الميدان وقد قال آزاد رحمه الله لقد شرعت فى البنيان وأسست قواعد العمران فمن يجيء بعدى يزيد على هذا البناء ويرفعه الى سابعة السماء انشاء الله تعالى انتهى وهذا أمر مرجو لكن لم أقف الي الآن على من زادعليه بعده وقد رأيت أن أختم هذه الخاتمة بذكر تلك القصيدة الحسنى ليكون مسك ختام الكلام في الاحتفال بهذا المرام وأجعلها بدلا عن أشعار كثيرة من الادباء المتفرقين من بحور وقواف مختلفة فى الانسجام وهي هذه

(مطلق الحسن)

بى ظبية من أبرق الحنان　　من مثلها في عالم الامكان

شمس تباهى بالسنا أمة لها　　وكواكب أخرى من الغلمان

(الضفيرة)

أضفيرتان على بياض خدودها　　أم في كتاب الحسن سلسلتان

أو ليلتا العيدين أقبلتا معاً　　أو من قصائدهم معلقتان

(الجبهة)

لله جبهته المضيئة في الدجى　　وهب الاله له علو مكان

هي نصف بدر كامل لكنها　　تربي على القمرين في اللمعان

(الحاجب)

أبصر حواجبها وأدرك كنهها　　غصنان منحنيان وسط البان

أو كافران يشاوران ليوقعا　　آمالنا في موقع الحرمان

(العين)

طرفا الحبيبة ماكران تمارضا　　وتغافلا عن رؤية الجيران

أو نرجسان على غصين واحد　　وهما بماء مسكر نضران

(الهدب)

أهداب حسناء الابيرق مروح　　متحرك لتروح الكسلان

أو حذو انسان العيون ستارة　　جعلت معلقة من الاجفان

(اللحظ)

لحظ المهاة فتورها مستحسن　　يحكى أريج النرجس الريان

ترنو ونحن نخاف فتنة طرفها　　وقع المهند في يد السكران

(الكحل)

أنظر الى كحل على أهدابها　　هو جوهر لمهند ويمان

أو أبدع النقاش خطاً حالكا ليزيد رونق دورة الفنجان

(الانف)

الانف سد بين طرفيها نعم هـذا سيافان مختصمان

محراب حاجبه بناء رائق وهو العماد لذلك البنيان

(الفم)

وفم الحبيبـة حقة محمرة فيها الآلىء الماء والتبيان

يا قوتة مثقوبة لـكنها بالثقب خالية عن النقصان

(الشفة)

شفة الفتاة عقيقة يمنيـة تشفى مويهتها صدى الظمآن

رطبان كل منهما ذو حمرة متفاخر باللون والحلوان

(المسى)

شفة المهاة عقيقة مسيها يحكى سواد شقائق النعمان

أو هـذه يا قوتة كحليـة فيها جلاء بصارة الانسان

(الثغر)

ما ثغرها الا الطباشير الذي يطفي لواعج غلة اللهثان

أو اقحوان يرتوى من ريقها أو لؤلؤ فى حقة المرجان

(التبسم)

بسمت شفاء حبيبتي أولاح في شفق وميض رائق البرقان

أو سلت الحسناء سيفاً لامعاً لتريـق باسمة دم الولهـان

(اللسان)

حسناء مقولها طلسم يحتوى درراً تدحرجها الى الآذان

عين الحياة فم التى أحببتها ولسانها هو أحمر الحيتان

(الحديث)

حلو ومر قول فاتنة النقا متلبس بتخالف العنوان

فالحلو منه لمن تناول سكر والمر منه مدامة النشوان

(الرضاب)

ماء الحياة رضاب غانية الهوى أين السبيل اليه للعطشان

أو خمرة ماء اللآلىء ماؤها لا شربة من حبة الرمان

(الخد)

خد التى برعت طلاوة وجهها ورد طرى من رياض جنان

الورد في بستان غانية الحمي والنرجس الريان يجتمعان

(العرق)

عرق الوجيهة قطرة لكنها في غرقنا تربي على الطوفان

أو لؤلؤ متدحرج ينحو الى جهة يشاء على بساط قان

(الخال)

الخال فى خد الحسينة عبرة كيف استقر الكفر في الايمان

أو طاح فى الوقد الذكى فراشة أو عرج الزنجى فى الميسان

(الذقن)

ذقن الجميلة سافل في وجهها عال سناه على سنا النيران

خجل التفافيح القوانى عنده وما لها خر على الاذقان

(الاذن)

أذن المليحة وردة فى روضة   يا ليتها تهوى نسيم بيانى
صدف أنيق لا محالة أذنها   والدر فيها أوضح البرهان

(القرط)

قرطا الجمان من الغدائر أومضا   أو ضاء فى الديجور مصباحان
قصرت عن شرح الحقيقة بل هما   سعدان حول البدر يلتمعان

(الجيد)

قد أطرق الغزلان قاطبة متى   شاهدن جيد سعاد في الليان
أمل الدمي أن تستفيد تلفتاً   من جيد غادة برقة الروحان

(الطوق)

الطوق زينة جيدها لكنه   طوق على عنق المحب الجانى
دارت على الفئة الذين تمسكوا   بالعشق دائرة من الازمان

(الثدي)

ثديا المليحة صاحبان تشاكلا   وهما على العلات يصطحبان
جلسا على صدر الكمال تكبرا   وعلى رؤوسهما قلنسوتان

(الوشاح)

زار الكواكب صدر حسناء النقا   ويخالها الراؤون سلك جمان
أو تلك أفئدة ثوت فى فالق   وتبرأت من ألفة الاوطان

(القلب)

حجر أصم فؤادها وزجاجة   قلب الذى هو فى المحبة فان

فؤادها في الانشراح لانه ضرر على اوان يلتقيان

(الساعد)

خرج اللجين عن المعادن لا كما خرجت سواعدها عن الاردان
صبحان منفلتان عن كميهما وكلاهما فى الضوء مستويان

(السوار)

أهوى أساورها وليس ببدعة ان الخليل الى الدوائر ران
حق المغرد أن يكون مطوقا عجب الزمان تطوق القضبان

(اليد)

حمراء خلت ذراعها مرجانة وحسبتها ساقا مع الافنان
جعلت قلوب الناس ملك يمينها وأرت يداً بيضاء فى الاحسان

(الظفر)

قدحصل الاظفار هذا الطيب من أظفار غانيـة من الصمان
جمع الاهلة والبـدور بنانها هذا لعمري خارق الدوران

(الحناء)

أخذت أناملها الخضيبة مهجتي هى بين نيران بغـير دخان
يخشى خضاب بنانها أسد الشرى يحكى دماء أسنة الخرصان

(الخصر)

خصر الرشيقة لا يفارق جدبه رفقاً بصـبر وشاحها الفرثان
بين الوجودين اللذين تراهما عـدم فيا لغرابة الجسمان

(السرة)

ان فاح سرتها فلا تتعجبوا   مأوى الاريجة سرة الغزلان
بقيت علامة أصبع اذ حاولت   تخمير طينتها يد الرحمن

(ما تحت السرة)

بر من الفردوس للحسناء أو   موزان مختصران ملتصقان
قوسان سهم واحد يكفيهما   يرجوهما سهمي من الطغيان

(الردف)

هام الفؤاد بغادة طائيـة   أجأ وسلمى عندها الردفان
ليست روادفها على ثقيلة   مع انهن ثقيلة الميزان

(الساق)

ساقا الخريدة اسطوانة حسنها   حسبت عمود الصبح في الاقران
تربان قد غلب الغرور عليهما   فهما أوان الميس يستبقان

(الرجل)

رجل العشقية كيف تقصد دارنا   عدم التخطي أرجل الاغصان
غمزت زجاجات القلوب فكسرت   وتشبثت بصيانة المنان

(الخلخال)

ساق التى قالت تذيب قلوبنا   خلخالها من خالص العقيان
أو قبلت شمس الصبيحة رجلها   مفقودة الاحشاء بالذوبان

(القامة)

ياطيب غصن الصندل الرطب الذي   داوى متيمه من الخفقان

رفع الاسنة كلها سبابة شهدت لوحدة ذلك المران

(الميس)

صان الاله رشيقة مياسة أربت على الغزلان في الجولان
نكس الغصون رؤوسها المارأت مختالة الوعساء في الميسان

(الدلال)

غنج الحسان الفاتنات قيامة يلقى سلاة الناس فى الهيمان
غنجت فخلناها وميضاً ماطراً يبكي ويبسم فلتة فى آن

(اللباس الابيض)

لبست جويرية الابارق حلة بيضاء ناصعة من الكتان
فكأنها فى حلة مبيضة شمس أضاءت فى الصباح الثانى

(اللباس الاحمر)

خرجت صباح العيد غانية الحمى في حلة حمراء بين غوان
طلت دماء العاشقين ولم تلح في ذيلها لتوحد الالوان

(اللباس الاصفر)

لبست حميراء الغوير مزعفرا يا ربنا صنها عن العيان
قدحل لون الحسن فى لون الهوى العذري بالطريان والسريان

(اللباس الاسود)

لبست فتاة الابرقين ممسكا فبدا ضياء فى بهيم زمان
ظهرت سليمى في لباس حالك أو حفت النعماء بالكفران

(اللباس الاخضر)

لبست بثينة حلة مخضرة ‏ فرأيت أى الروح والريحان
وقع الحمائم في تصور بانة ‏ خضراء اذ ذهبت الى البستان

(اللباس الازرق)

طلعت سعاد صبيحة في حلة ‏ زرقاء يقدمها علو الشان
أو تلك شمس ضمها نيلوفر ‏ سقياً له من طالب اللقيان

(اللباس المصندل)

جاءت حسيناء الابيطح فى لبا ‏ س صندلى نحو هـذا العاني
لبست بتوفيق الاله مصندلا ‏ لتعالج المصدوع بالفيحان

(الخاتمة)

أمليت فى وصف المهاة قصيدة ‏ حسنية تحوى أدق معان
فى سبعة فوق الثمانين التى ‏ مائة وألف بعدها حسباني
سميت مرآة الجمال قصيدتى ‏ طابت برؤيتها قلوب حسان
ما ان سمعنا مثلها عن شاعر ‏ آزاد للطرز المنشط بان
صلى الله على النبي وآله ‏ ماغنت الاطيار بالالحان

ولصاحب القصيدة شرح موجز عليها أثبت تحت كل عضو أشعاراً رائقة للشعراء وأبياتاً فائقة للفصحاء من تعريفات الحبائب وتوصيفات الكواعب وجملة أشعاره فى الدواوين العربية أربعة آلاف وكانت ولادته في الخامس والعشرين من صفر يوم الاحد سنة ست عشرة ومائة وألف بمحروسة بلجرام وهى متصلة بقنوج من

بلاد الهند المذكورة فى القاموس وقنوج موطن هذا العبد المؤلف
وكان رحمه الله تعالى فاضلا فقيهاً محدثاً أديباً بارعاً فى العلوم
العقلية والنقلية جامعاً للفضائل والكمالات الصورية والمعنوية
وجملة أشعاره فى السبعة السيارة وغيرها احد عشر الفا وما سمع
قط من أهل الهند من يكون له ديوان عربي ومن يكون له شعر
عربى على هذه الحالة وهو حسان الهند مدح النبى صلى الله عليه
وآله وسلم في الدواوين وأوجد في مدحه معانى كثيرة نادرة لم
يتيسر مثلها لاحد من الشعراء المفلقين وأبدع فى قصائده المدحية
مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين وله فى التغزل
طور خاص فلما يوجد فى كلام غيره يعرفه أصحاب الفن وله تصانيف
نفيسة حسنة جداً وغالبها حاضر عندى وكان يرجع نسبه الى على
العراقى بن حسين بن على بن محمد بن عيسى موتم الاشبال بن زيد
الشهيد بن الامام على زين العابدين رضى الله عنهم توفى رحمه الله
في سنة مائتين والف الهجرية ودفن بالروضة من أرض الدكن
وأما أنا فيرجع نسبى الى على بن الحسين السبط أيضا لكن
بواسطة أئمة الهدى من أهل البيت وعشيرتى معروفة بسادة
بخارى ولى أيضا يد صالحة وجارحة عاملة في اللسان العربى والفارسي
والهندى وتصانيف كثيرة فيها لكن غالبها في علم التفسير والحديث
وفقه السنة وعلم العقائد وعلم التاريخ وعلم الادب واللغة والبديع
وغير ذلك وولدت ببلدة بريلى موطن جدي القريب من جهة الام

ونشأت فى حجر الوالدة الكريمة بقنوج على زنة سنور واكتسبت العلوم المتداولة وتأدبت على عصابة العلوم الفاضلة وسافرت الى الحرمين المكرمين وعدت الى بلدة بهوبال المحمية عن الرين والشين ومن الله على بالمال الحلال والاولاد الصالحة والقضاء النافذ والحكم الماضى على الرئاسة العلية المذكورة وخوطبت من جهة مليكة البرطانية بخطاب فائق ولقب رائق لفظه بالفارسية نواب عاليجاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر والآن أنا نزيلها وزوج الرئيسة ودخيلها جعل الله خاتمتى بالخير وصانني عن شرور الاعادى وكل ضير

هذا وقد أورد الانطاكي فى تزيين الاسواق مقاطيع وأغزالا وأبياتاً وأشعاراً كثيرة ختم بها كتابه المذكور ماذكرت منها ههنا الا اليسير المسطور لان الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص كثيرة لا تحصى وغزيرة لا تستقصى أورد منها فى تزيين الاسواق ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الاذواق عند السماع وذكر شيئاً كثيراً من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق في الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف ببديع النكت واللطائف ومما يلحق بذلك التلميح وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع عظيم الفائدة في الايصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من ذوى الفهم ولم تدر الاغبياء وجل

علماء المعانى على ان التلميع يرادفه والصحيح انه أخص ومما ينسج فى هـذا النمط ما سمته العرب باللاحن قال ابن دريد انه مشتق من اللحن يعنى الفطنة وان فائدتها التخلص من أنشوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الالجاء وأمثلة التامليح والملاحن مذكورة في كتاب الانطاكى ومنها المجون وما نقش على الخواتم والتكك وغيرها من نحو اكليل وعود وميل وكاس وأترجة ومما ينخرط فى هذا المسلك ما يكتب على الكتب ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع في استقصائها ولا قدرة على احصائها وبعضها مذكور فى تزيين الاسواق فان شئت الاطلاع عليه فراجعه ولنختم الكلام الذى اقتطفناه من هـذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه بغزل منا في بعض أيام الشباب نظمناه

لله غانية فى مهجتى نزلت ... مالت الى الوصل شوقاً ثم ما وصلت

طحت بقلبي وضامتني بلا سبب ... يا أيها القوم قولوا كيف ما فعلت

أتحفت جوهر قلبي نحو حضرتها ... ألقت الى فما شامت وما قبلت

قد أمنتني وألقتنى الى أسف ... بالله يا صاح ما هذا وما فعلت

قامت تودعني والحزن يرهقها ... وقمت عانقتها والعين انهملت

جاءت وولت فلا شكواى من دعد ... هى الحبيبة ان عادت وان عدلت

حور الجنان تحاكى حسن عزتنا ... فى فكرهن ولو أبصرتها خجلت

تلوح فى عارضيها صفرة عجب ... لعلها من جفاء الصب انفعلت

كانت تؤمل قتلى دائما أبداً
لله نفس مشوق بالمنى قتلت
لم أرتكب فى هوى أسماء معصية
بأى ذنب رعاها الله قـد قتلت
اعراض قلبي عنهـا أى معصية
لا أرتضيه وان جارت وانعدلت
ضاءت ذوائبهـا من نور وجنتهـا
لله بارقـة فى ظلمـة حصلت
أتلك طرتهـا طالت الى قـدم
أم آية هـذه فى شأنها نزلت
أهـذه يدها البيضاء زاهيـة
من نور طلعتها شمس الضحى خجلت
أم غرة فى جبين الدهر فائقـة
أم درة من نحور الحور انتقلت
هى التى نرتضى منى وتمقتنى
يا ليت يوما من التلوين انفعلت
حب المليحة يوم الدين مكرمة
هناك منه موازين الهوى ثقلت
سفاكة قطعت رأسى بلا قود
تجاوز الله عنهـا أى ما فعلت

فتانة أجرت الانهار من دمنا
لا يفعل الظالم المغرور ما فعلت

هوى العذول رجوعى عن صبابتها
ولست أرجع ان أحييت وان قتلت

ألصب يشكر منها موعداً حسناً
وان أخات بايفاء وان ختلت

ما ان بخلت بروحى مذ شغفت بها
فكيف عزتنا بالوصل لى بخلت

ليست لها غاية في قتل عاشقها
الا الثواب جزاها الله ما عملت

نصح العواذل لا يأتى بفائدة
تلك المواعظ منهم هفوة بطلت

شهادة الصب منها أي مرحمة
أمنية كان لى من مدة حصلت

وأين تحصل لعشاق خلوتها
ترى المحبين صرعي حين احتفلت

لن تنظرن الى صب بعين رضا
فيا لمنتظر من نظرة فضلت

هيج الغرام وموت الهجر مخمصة
ما ضر عزة لو عن صبها سألت

موت المحب على دين الهوى حسن
أوتى به زمرة آثارهم نقلت
سقم الفتى في الهوى العذرى عافية
وأى عافية ما مثلها حصلت
حكت سعاد لنا من حسنها عجباً
فلو رأتها ظباء المنحنى ضألت
فاضت دموعى على جيراننا بدم
هذى منازل سلمي قد خوت وخلت
كانت معمرة مأهولة أبداً
صارت بلاقع مذ أسماؤنا رحلت
لله درك يا صديق من كلم
نظمتها وهي في أوصافها كملت
صلى الاله على المختار من مضر
ما دام سنته للمؤمنين حلت

وقد رأينا أن نجعل هذا المقطع من الغزل كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم أن يتوب لاشتماله على ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم التى يكشف بها كل غم ويتجلى كل هم وهذا أقصى ما أردنا تحريره وأنهى نهاية ما ارتضينا تسطيره مستغفرين الله مما جنيناه اذ هو أكرم كريم يقبل توبة

التائب ولطيف يؤوب اليه الآيب قائلا ماقال الانطاكي فى لوعة الشاكي ودمعة الباكي

كتبت وقد أيقنت أن جوارحي
ستبلى ويبقي كل ماأنا عامله
فان كان خيراً سوف أحمد غبه
وان كان شراً أوبقتني غوائله
فاستغفر الله العظيم من الذى
كتبت ومما قلت أو أنا قائله
فيارب بالهادي النبي محمد
نبي على كل الورى فاض نائله
وبالآل والاصحاب ترحم عاجزاً
كليلا من الذنب الذي هو حامله
أتى تائباً من غفلة اللهو قائلا
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
ولم لا وجل العمر قد فات وانقضي وعري أفراس الصبا ورواحله
تفضل عليه وارحم الآن ذله وتختم بخير كل ما هو فاعله

فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد أفضل صلاته وسلامه وعلى آله الغالبين باتمام الحجج على الاعادي وأصحابه المتمين لانوار الهدي فى الدآدى ماغد التسابيح للرحمن بسبحة الياقوت والمرجان